شَرْح
أُصُولِ السُّنَّةِ

لإمام أهل السُّنَّة أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل
رحمه الله تعالى
١٦٤ - ٢٤١ هـ

لِفَضيلة الشَّيْخِ:

د. سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري
مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي
٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

المجلس (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

ثم أقول مُرحبًا بالجميع: مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معاشر الفضلاء؛ إن هذه الدورة العلمية المعقودة في مسجد نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومي الأحد والاثنين بعد العصر من كليهما في أول محرم وثاني محرم معقودة لشرح رسالة عظيمة، تمس إليها حاجة الأمة، ألا وهي (رسالة أصول السنة) للإمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وسائر علماء المسلمين، وهذه الرسالة وإن كان مؤلفها وممليها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى إلا أن ما فيها هو ما عليه أئمة المسلمين من زمن الصحابة فمن بعدهم رضوان الله عليهم.

وقد منّ الله عَزَّ وَجَلَّ عليّ فشرحت هذه الرسالة سابقًا في غير المدينة، ورغب إليّ أبنائي أن أشرحها في المدينة، فهذا هو الشرح الثاني لهذه الرسالة، وهو شرح مزيدٌ ومحقق ومنقح، ولعل من توفيق الله لنا أن

نجتمع على شرح رسالة (أصول السنة) لإمام أهل السنة في منبع السنة في مسجد النبي الذي أوتي السنة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الرسالة وسمت بـ(أصول السنة) وأصول السنة أو والأصول جمع أصل، والأصل في اللغة أسفل الشيء يقال: قعدت في أصل الجبل أي في أسفل الجبل، وقعدت عند أصل الشجرة، أي عند أسفل الشجرة.

والأصل في اصطلاح العلماء هو: ما يبني عليه غيره، ما يكون قاعدة ثابتة يبنى عليها غيرها، والمقصود بالسنة هو كل ما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقرير، أو صفٍ خِلقي، أو خُلقي، والمراد بالسنة هنا العقيدة، وما عليه أئمة أهل الإسلام في أصولهم الكلية.

فالمقصود بأصول السنة هنا: قواعد أهل السنة والجماعة التي جاءت بها السنة، ومات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، واتفقت عليها كلمة أهل السنة، وميزتهم عن غيرهم، فمن جمعها فهو من أهل السنة والجماعة، ومن خالف فيها أو في بعضها أو في واحدٍ منها فليس من أهل السنة والجماعة، فلا يصح أن يوصف أحدٌ بأنه من أهل السنة حتى يجمع أصول السنة.

يقول الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ تعالى: ولا يحل لرجل أن يقول: فلانٌ صاحب سنة؛ حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة.

لا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها، أي حتى تجتمع فيه أصول السنة، لا يحل لأحدٍ أن يصف أحدًا من الناس بأنه من أهل السنة أو على السنة بإطلاق حتى يعلم أنه قد جمع أصول السنة التي مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، واتفقت عليها كلمة أهل السنة.

وهذه الأصول التي بين أيدينا قد أجمع عليها أهل السنة والجماعة، كان عليها صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم علموا وأيقنوا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات عليها، وسار عليها من اتبعهم بإحسان، وكتبها أئمة أهل السنة، كالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى الذي كتب هذه الأصول بيده، كما جاءت بذلك بعض الأخبار عنه، وأرسلها، وقالها أيضًا في مجالسه، وأملاها على بعض تلاميذه، ونُقلت عنه رَحِمَهُ اللهُ بالأسانيد الصحيحة، فأجمل بها من رسالة يُعنى بحفظها، ويُعنى بالمحافظة على ما فيها، ويُعنى بشرحها، تُقرر وتكرر، ويكرر شرحها، فإن حاجة الناس إليها عبر الأزمان حاجة ماسة، وفي هذا الزمان

تشتد الحاجة إليها، حيثُ كثر المزورون الذين ١١:٥٢ عوام المسلمين، ويقولون: إن ما يذكرونه هو ما كان عليه الأئمة، ومن قبلهم من علماء الأمة، كذبًا، وزورًا، وبهتانًا، ولا يستطيعون أن يقيموا على ذلك دليلاً، لكنهم يروجون ذلك على العامة، فيروج ذلك على العامة الذين يحبون الخير، ولا يعرفون دينهم إلا عن طريق من يظنونهم علماء.

فمن النصح للأمة أن ننشر أصول السنة:

وأن نقرر أصول السنة، وأن نكبر شرحها وبيانها، ولاشك أن هذه الأمة لن تجتمع اجتماعًا حقيقيًا نافعًا إلا إذا حققت أصول السنة، فإن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان كانت كلمتهم متفقة، لا فرقة بينهم، ولا نزاع بينهم، ولا اختلاف إلا فيما يسوغ فيه الاختلاف، حتى نبغ أقوامٌ تركوا أصول السنة، أو بعض أصول السنة؛ فحصلت الفرقة، وحصل التنافر، وحصل التناحر؛ بل حتى وصل الأمر إلى الاعتداء، وإلى أن يقتل بعضهم بعضًا، فبعض المخالفين لأهل السنة في بعض الأزمان طينوا على أهل السنة بيوتهم، أي أغلقوا عليهم الأبواب والنوافذ؛ حتى ماتوا في داخل بيوتهم، واليوم من المخالفين لأهل السنة من يستحل قتل أهل السنة، وهناك شيوخ وطلاب علم في بعض بلدان المسلمين يقتلون، ولا ذنب لهم إلا أنهم متمسكون بالسنة وبأصول السنة، فسبب الفرقة ترك أصول السنة أو ترك بعضها، ومن أراد أن يعيد الأمة إلى الاجتماع فإن عليه أن يسعى جاهدًا إلى إعادة الأمة إلى أصول السنة، وأن يجتمع الناس على أصول السنة.

وأهل السنة يقال لهم: أهل السنة، من أسمائهم أهل السنة، ومن أسمائهم أهل الجماعة، وقد يُجمع الأمران فيقال: أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة، ومن اتبعهم بإحسان، أي هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن صدق في اتباع صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا أردنا أن نعرف من بعد أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هم من أهل السنة أم لا؟

فلنعرضهم على ما كان عليه الصحابة، فمن كان على مثل ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فهو من أهل السنة، ومن خالف وانحرف عن طريقهم فهو ليس من أهل السنة.

فأهل السنة يعظمون السنة يقتدون بمن حمل السنة وهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتبعون من حمل السنة، فأهل السنة إذا ثبتت عندهم السنة عظموها، وأحبوها، واحتجوا بها في كل دينهم،

في الأصول وفي الفروع، في العقيدة وفي الأحكام، لا يفرقون بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يدفعون الاحتجاج بسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يقولون: إن بعض سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدل على اليقين فيحتج بها في العقيدة، وبعضها لا يدل على اليقين ولو كان ثابتًا، فلا يحتج به في العقيدة، حاشا وكلا.

فما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبنا به، أيليق بالمؤمن أن يخاطبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء ويأبى أن يتبعه؟!!

لا والله، ما حقق هذا الاتباع إلا أهل السنة، فإذا ثبت عندهم حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتبعوه، ولذلك هم أهل السنة، وغيرهم من الفرق لا يحتجون بكل سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل منهم من يدفع الاحتجاج بالسنة أصلاً، ومنهم من يدفع الاحتجاج بأخبار الآحاد، وأما أهل السنة فلا يفرقون بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابتة، وأهل السنة هم أهل الجماعة؛ لأنهم يجتمعون على الحق ويسيرون عليه، ويتمسكون بما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

سبحان الله!! أهل السنة أهل جماعة، ليسوا أهل فرقة، أهل السنة في جميع البلدان، أهل السنة الصادقون أهل جماعة، كلهم على دينٍ واحد، على أصولٍ واحدة، مهما اختلفت البلدان؛ بل حتى من يقيم منهم في دول الكفر هم أهل جماعة، وأيضًا أهل السنة والجماعة يأمرون بلزوم الجماعة وينهون عن الفرقة، ويجعلون من أصولهم السمع والطاعة في غير معصية الله.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كما تعلمون من كبار أئمة أهل السنة؛ حتى أنه عُرف عند العامة والخاصة بإمام أهل السنة والجماعة، لكنه لم يبتدع شيئًا، ولم يحدث شيئًا، وإنما سار على ما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه أئمة أهل السنة بعد صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زمن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ ونصر ذلك.

وعندما نُكس الناس في الفتنة عن شيء من هذه الأصول عندما حدثت الفتنة الكبرى بالقول بخلق القرآن ثبت الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ حتى انجلت الفتنة، فجعله الله سببًا لبقاء كلام أهل السنة والجماعة، وأصول السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: وأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وإن اشتهر بإمامة السنة، والصبر في

المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقوله، أو ابتدع قولًا؛ بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها، ودعا إليها، وصبر على امتحانه ليفارقها. انتهى قوله رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

ويقول أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله تعالى: أحمدُ؛ إنما اشتهر أنه إمام أهل السنة والصابر على المحنة لما ظهرت محن الجهمية الذين ينفون صفات الله تعالى، ويقولون: إن الله لا يُرى في الآخرة، وأن القرآن ليس كلام الله؛ بل هو مخلوق من المخلوقات، وأنه تعالى ليس فوق السماوات، وأن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعرج به إلى الله، وأضلوا بعض ولاة الأمر.

أضلوا المأمون بن هارون الرشيد:

وقد كان الخلفاء من أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هارون الرشيد على معتقد أهل السنة والجماعة.

وأول من انحرف عن معتقد أهل السنة والجماعة من الخلفاء هو المأمون:

وسبب انحرافه: أنه أحب علم الكلام والمنطق، فحاد عن الجادة عن طريق أهل السنة والجماعة في الاستدلال، وقرب المعتزلة؛ لأنها كانوا أصحاب أدب وأقاصيص فانحرف.

يقول الشيخ رَحِمَهُ الله: وأضلوا بعض ولاة الأمر، طبعًا المأمون، لم يبق طويلاً في الفتنة، لم يبق حيًا طويلاً، وقد امتحن كبار أئمة الحديث في القول بخلق القرآن، فمنهم من أقر، ومنهم من أجاب مكرهًا، ومنهم من ورى كما جاء عن بعضهم أنه كان يقول: القرآن، والتوراة، والإنجيل، كل هذه مخلوقة، ويقصد أصابعه، ليسلم من أذاهم، وثبت نفرٌ يسير أعلاهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، وقد امتحن بالقول بخلق القرآن فأبى إلا ما في الكتاب والسنة وما عليه أهل السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فُحمل إلى المأمون، في بعض نواحي البلاد؛ لأنه كان قد ذهب إلى الغزو، فدعا الله ألا يُريه وجه المأمون، فمات في تلك الليلة التي دعاء فيها، في الثلث الأخير من تلك الليلة.

ثم جاء المعتصم:

ولم يُحب أن يخالف ما كان عليه أخوه، مع أنه لم يكن مهتمًا بالعلم بل كان محبًا للغزو، وثبت على الفتنة، لكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وعظه فرق قلبه وخاف من الله، لم يرجع عن الفتنة، لكن ترك ابتلاء الناس وامتحان الناس، فهدأت الفتنة إلى أن مات.

ولما مات تولى الواثق الحكم:

وقد تبنى الفتنة وأثارها مرة أخرى، وامتحن الناس امتحانًا عظيمًا، وحُبس الإمام أحمد، وضُرب، وعُذب، ونفعه الله بلص كان معه، لما أخذوه من مجلس المناظرة فقال له: (يا أحمد إنهم يضربونني على عشرة دراهم سرقتها، فلا أجيبهم، وأنت تُضرب على الدين، فإياك إياك).

ثم بعد أن مات الواثق تولى المتوكل وكان شابًا:

كان شابًا عمره ستةٌ وعشرون عامًا، وكان محبًا للعلم، محبًا للسنة، محبًا لأهل السنة، وسبحان الله ما أحب أحدٌ أهل السنة إلا استنار قلبه، فأظهر السنة، وأكرم أهل السنة، وفرج الله به عن أهل السنة.

أعود إلى مقال الشيخ رَحِمَهُ الله؛ قال: فأضل بعض ولاة الأمر، فامتحنوا الناس بالرغبة والرهبة، فمن الناس من أجابهم رغبة، ومن الناس من أجابهم رهبة، ومنهم من اختفى فلم يظهر لهم، وصار من لم يجبهم قطعوا رزقه وعزلوه عن ولايته، وإن كان أسيرًا لم يفكوه، ولم يقبلوا شهادة، وربما قتلوه أو حبسوه، والمحنة مشهورة معروفة، كان في إمارة المأمون والمعتصم والواثق، ثم رفعها المتوكل، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، فثبت الله الإمام أحمد، فلم يوافقهم على تعطيل صفات الله تعالى، وناظرهم بالعلم فقطعهم وعذبوه، فصبر على عذابهم، فجعله الله من الأئمة الذين يهدون بأمره، فمن أُعطي الصبر واليقين جعل الله إمامًا في الدين، وما تكلم به من السنة إنما أضيف إليه لكونه أظهره وأبداه، لا لكونه أنشأه وابتداه.

ما أعظم هذه الجملة!! كل أئمة أهل السنة ينطبق عليهم هذا القول، ما أحدثوا شيئًا، قال: (إنما أضيف إليه لكونه أظهره وأبداه، لا لكونه أنشأه وابتداه) وإلا فالسنة سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصدق الكلام كلام الله، خير الهدي هدي محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ الله تعالى: وما قاله الإمام أحمد هو قول الأئمة قبله، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وهو قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبلهم، وأحاديث السنة معروفة في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام.

ولا زال الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بما انتهى إليه من السنة، ومن نصوص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر مما قال غيره، فصار إمامًا للسنة أظهر من غيره. ولا

شك أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أحد أئمة الصدق من المسلمين.

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ الله: هو الإمام حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

ومع كثرة ما روى من الأحاديث يقول: ما رويت حديثًا إلا عملت به؛ حتى أني رويت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم وأعطى الحجام دينًا فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارًا رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعة، ما أحوجنا إلى أن نتبصر في سير الأئمة.

اليوم كثر المتكثرون بالعلم، ويا ليتهم يعلمون، يجمعون من الانترنت ومما هو مذكور في المواقع، ثم يتكثرون به، ولا تجد عندهم عقلاً، ولا رفقًا، ولا عفةً في لسان، ولا عملاً بالسنن، هؤلاء ما عرفوا طريق الأئمة، ولذلك أنا دائمًا أوصي نفسي وأخواني الدارسين بالعناية بسير الأئمة، والعمل على الاقتداء بهم.

وأصول السنة عند الصحابة، عند التابعين، عند الأئمة بعدهم، عند شيوخنا الذين أدركناهم: هي أصول السنة، لا جديد فيها ولا تجديد، فأصول السنة التي كانت في صدر الإسلام، وتناقلها الأئمة ثابتة ومعروفة عند أهل السنة والجماعة، فلا جديد فيها، ولا تجديد، والناس فيها إما مؤمنٌ بها، معتدٌ لها، عاملٌ بها، وإما محدثٌ مخالفٌ لها، والتجديد فيها يكون برد الناس إليها إذا ندوا عنها، وبتذكير الناس بها إذا غفلوا عنها، وبحدث الأمة على أن تتمسك بها كما فعل الأئمة المجددون، كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، ما جاؤوا بأصول من عندهم، وإنما جددوا بِرب الناس إلى ما كان عليه أهل السنة والجماعة، ورد الناس إلى أصول السنة والجماعة، هذا هو التجديد المحمود الذي يقال لصاحبه: مجدد.

أما إحداث أصل أو أصول ما ذكرها أئمة أهل السنة والجماعة في أصولهم أبدًا؛ بل ذكروا ما يُشعر بخلافها، فهذا ليس تجديدًا في الدين، بل هو انحراف عن أصول أهل السنة يجب اجتنابه، لا يجوز تقليد من أحدث أصلاً نسبه إلى السنة لم يُعرف في كُتب أهل السنة عن أصول السنة، والله لا يجوز تقليده، ولا يجوز له أن يبقى على هذا الأصل؛ بل الواجب عليه أن يراجع الحق، فإن الحق قديم.

وأنا أوصي نفسي وأخواني طلاب العلم:

يا طلاب العلم من عرفتموه من أهل السنة؛ ثم أحدث أصلاً أو خالف في أصل فلا تعينوا الشيطان

عليه، وأعينوه بالدعاء له، ادعوا له في سجودكم، ادعوا له في الثلث الأخير من الليل، فإن أهل السنة والجماعة أهل رحمة، ووالله إن عَوْد من ندّ عن السنة في شيء إلى السنة أحبُّ إلينا من الدنيا بأسرها.

ومن نعمة الله على أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أن الأئمة الكبار المتقدمين ومنهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ؛ قد كتبوا أصول السنة، ونصوا على أنها أصول السنة، ونحن في هذه الدورة سنشرح (أصول السنة) التي سطرها الإمام أحمد عَزَّ وَجَلَّ فيتفضل الابن نور الله وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ الله تَعَالَى: أُصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم والاقتداء بهم.

(الشرح)

هذه الرسالة ثبتت عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ بأسانيد صحيحة، منها الإسناد المذكور في هذه الرسالة، ومنها ما جاء عن الخلال في (كتاب السنة) حيث قال: حدثنا محمد بن سليمان الجوهري، حدثنا حَدثنِي عَبدُوس بن ملك الْعَطَّار. هذا أحد تلاميذ الإمام أحمد، وكان الإمام أحمد يحبه، ويخصه بهدايا حسية ومعنوية.

قال: حَدثنِي عَبدُوس بن ملك الْعَطَّار؛ قَالَ: سَمِعت أَبَا عبد الله أَحْمد بن حَنْبَل رَضِي الله عَنهُ يَقُول أُصُول السّنة. وذكر ما ذكر منها.

وفي طبقات الحنابلة: قال عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، ذكره أبو بكر الخلال؛ فقال: كانت له عند أبي عبد الله منزلةٌ، وله به أنسٌ شديد، وكان يُقدمه، وكان له أخبار يطول شرحها، ثم ذكر بإسناده إلى عبدوس هذه الرسالة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: **(أُصُول السّنة عندنَا)** الضمير يرجع إلى من؟ إلى أهل السنة والجماعة المتمسكين بها، ومنهم الإمام أحمد، ومن أدركه الإمام أحمد، ومن أدركه من أدركه الإمام أحمد، وهكذا حتى تصل إلى صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(أُصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم والاقتداء**

بهم) هذا هو الأصل العام عند أهل السنة والجماعة، كل ما عليه أهل السنة والجماعة يعود إلى هذا الأصل، وهو أن رأس أهل السنة والجماعة، ومن حمل السنة والجماعة إلى الأئمة؛ هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الذين تعلموا ذلك عن رسول الله أو من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتركهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فالمهتدون الفائزون هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن اقتدى بهم واتبعهم بإحسان؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فمن أراد الفوز بالجنة، ومن أراد الفوز العظيم، من أراد الحياة الطيبة فليلزم غرز صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء بالصحابة فرض لازم على جميع الأمة.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ الله: ثبت وجوب اتباع السلف بالكتاب والسنة والإجماع.

ومن الأدلة العظيمة الدالة على لزوم السنة، وأن لزوم السنة لا يتحقق إلا بلزوم منهج الصحابة، وأنه لا سنة بدون فهم الصحابة رضوان الله عليهم: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].. الله أكبر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥]، يعني من يكون في دينه وحاله في شقٍ غير شق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شق وهو في شق، يأتيه الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأباه ويقول: عاداتنا، وأهلها، وموروثنا في بلادنا، وما توافق عليه أهل بلادنا، سبحان الله!! أتأبى أن تكون في شق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، أي يتبع غير طريق المؤمنين، ومنهج المؤمنين، والمؤمنون عند نزول الآية هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يجعل شق رسول الله له شقًا، ولم ينهج منهج الصحابة فإنه ضال مضل، يوليه الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا ما تولى، ويكله إلى هذا الركن الذي يأوي إليه، ولا خير فيه، ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]، نصليه جهنم يوم القيامة، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ومفهوم الآية:

من يلزم شق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من يلزم سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينهج منهج الصحابة رضوان الله عليهم نهديه وندخله الجنة، فدل هذا على أن مخالفة سبيل الصحابة ضلال، وسبب للإضلال، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، واتبع طريق من أناب إليّ.

انتبهوا أيها الأخوة:

كل واحد من الأمة لابد له من متبوع يتبعه، والواجب أن يكون متبوع الأمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الصحابة هم رأس من أناب إلى الله بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتىٰ إن كان منهم من أتىٰ أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي علىٰ ثلاثٍ وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»، رواه الترمذي وحسنه الألباني، والحديث ثابت بلا شك، فمن درسه وجمع طرقه علم أنه ثابت.

وانظر رعاك الله: «**ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل**»، سبحان الله، النعل يطابق النعل، يعني نعل اليمنى يطابق في هيئته وحجمه نعل اليسرى، إلا في جهة الانحراف، وهذا يدل على أن من الأمة من يطابق ما عليه اليهود والنصارى، إلا في خلاف يسير.

ثم انظر كيف أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن افتراق الأمة، وأن الفرق كلها في النار أي تستحق دخول النار، إلا واحدة، من هي؟ ما عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

وانظر رعاك الله كيف قرن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هو عليه بما عليه صحابته رضوان الله عليهم!! ليعلم المؤمن أنه لن يصل إلى السنة إلا من طريق الصحابة رضوان الله عليهم، ومن تغيَّا أن يصل إلى السنة وتجاهل صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن يصل إليها أبدًا، فإن كل طريق إلى السنة مسدود إلا من طريق صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتأكد وجوب التمسك بما عليه الصحابة عند وجود الفرقة، وعند وجود الفتن، واشتدادها كما في الحديث المتقدم، وفي قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني.

انظروا كيف بيّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المتعين عند حصول الخلاف واشتداده أن نتمسك بسنته وسنة صحابته رضوان الله عليهم، معلمًا إيانا أنه لا نجاة من الفتن ومن الاختلاف الضار إلا بالتمسك بسنته، ولا تُدرك سنته علمًا وفهمًا إلا من طريق صحابته رضوان الله عليهم، وإلا فالمعلوم أن الصحابة يقتدون بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكن قال: وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، لنعلم أنا لن نعلم السنة، ولن نطبق السنة إلا إذا أخذنا بسنة الصحابة، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد أجمع علماء أهل السنة؛ بل أجمع أهل السنة على هذا الأصل العظيم، وأهل البدع جميعًا يخالفون هذا الأصل، يخالفون ما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلاً أو بعضًا، ولذلك ذكرنا مرارًا وتكرارًا أن أهل السنة يصلون بما هم عليه إلى رسل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بسلسلة من نور قوية لا يمكن نقضها، تصدق ما هم عليه.

أما أهل الفرق جميعًا فلابد من أن ينقطعوا دون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يمكن لفرقة أن تنتسب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل ينتسبون إلى رجل دون ذلك، الأشاعرة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري قد ترك ما هم عليه، ورجع إلى ما عليه الإمام أحمد أي أهل السنة.

الماتريدية ينتسبون إلى أبي منصور الماتريدي هذا الرأس الذي يصلون إليه، ما يستطيعون أن يصلوا إلى صحابة رسول الله؛ لأن الذي عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو السنة، ولو وصلوا إلى نور السنة لظهرت ظلمة البدعة، وتيقن الناس أن ما عليه هؤلاء المبتدعة لا خير فيه.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَترك الْبدع وكل بِدعَة فَهِيَ ضَلَالَة.

(الشرح)

التمسك بالسنة قرينه الملازمة ترك البدع، فمن زعم أنه يتمسك بالسنة وهو يخوض في البدع فهو كاذب في تمسكه بالسنة، فهما قرينان متلازمان، فمن أصول أهل السنة (ترك البدع).

والبدعة في اللغة: هي الشيء الجديد على غير مثال سابق.

والبدعة في الشرع عرفها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يدلك على أهمية معرفة البدعة، وعظم شأن معرفة البدع، عرفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكلها إلى أحدٍ من الناس، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل محدثة بدعة**»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

إذًا البدعة: هي التقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أو التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يكن عليه أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلاً أو وصفًا، التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يكن عليه أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلاً أو وصفًا.

وإن شئت قل: البدعة كل أمر محدثٍ في الدين أصلاً أو وصفًا، فإذا أحدث محدث حدثًا أو عمل بمحدث في الدين لم يأت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصله أصلاً، فقد ابتدع.

ومثال ذلك: المولد، المولد للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المولد للأئمة، المولد لكذا، هذا أمرٌ محدثٌ بأصله، ما جاء في الكتاب ولا في السنة، ولا عرفه الصحابة رضوان الله عليهم، ما عرفوا المولد أصلاً، ولا عرفه التابعون، ولا عرفه الأئمة الأربعة، ولن تجد له ذكرًا عندهم، وإنما أحدثه الفاطميون الروافض في مصر في القرن الرابع بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ونحن نتحدى كل من يقول بالمولد أن يأتينا بذكر للمولد في كتاب من كتب الأئمة المتقدمين، في أي شأن، ليس في العقيدة فقط.

فالمولد محدث بأصله، وكذلك ما يُحدث في وصفه بأن يكون أصله مشروعًا لكن المتعبد يضيفه إلى وصفٍ من زمنٍ أو مكانٍ أو هيئةٍ أو جنسٍ أو عددٍ لم يرد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كأن يقول قائل: أنا سأقول في كل يوم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، فنقول: ما شاء الله أصبت السنة هذه ثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراب في إترابهم، وما أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم.

فيا أيها السني:

لا يوحشنك قلة الرفيق، فإن من شأن أهل الحق القلة بالنسبة لجموع الناس، وتمسك بالسنة، واثبت عليها، ولاشك أن من تمسك بالسنة حقق إيمانه، وصدق في اتباعه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد اتهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة شاء أم أبى.

قال ابن الماجشون رَحِمَهُ الله: سمعت الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ الله تَعَالَى: وَتَرَك الْخُصُومَاتِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاء.

(الشرح)

هذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وستجدون أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يكرره في مواضع من باب التأكيد عليه؛ لأنه أصل عظيم كبير عند أهل السنة والجماعة، ترك الجدل والخصومات في الدين مع أهل الأهواء والبدع.

فأهل البدع لا يخاصمون، وإنما يُعرض عليهم الحق، ويُكتفى بذلك، فالذي عليه أهل السنة والجماعة حقٌّ بيّن لاشك فيه ولا ارتياب، والدين ليس بالمخاصمة والمغالبة، هذا يغلب فنتبعه، وهذا يغلب فنتبعه، وإنما الدين مبنيٌّ على النقل.

وقد روى اللالكائي عن الإمام عبد الرزاق رَحِمَهُ الله؛ قال: قال لي إبراهيم بن أبي يحيى: إني أرى المعتزلة عندكم كثيرًا، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، عبد الرزاق يقول له، نعم المعتزلة عندنا كثير، وهم

يزعمون أنك منهم، قال لي: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك؟ قال: قلت: لا، قال: لمَ؟ كما يقولون: خواف؟ لماذا تخاف مني؟ قال: قلت: لأن القلب ضعيف وإن الدين ليس لمن غلب.

أنا لست في شك من ديني وأعرف الدين، والقلب ضعيف، وأهل البدع أهل لسان، فقد تلقي كلمة تضر قلبي، وليس الدين لمن غلب، والجدل مع أهل الأهواء لا خير فيه، ولا يجلب خيرًا، وقد يوصل إلى قلب من يجادلهم أو من يسمع الجدال معهم فتنتهم.

وقد روى ابن بطة عن أيوب السختياني قال: قال لي أبو قلابة: (يا أيوب احفظ عني أربعًا: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر) أي التعمق في القدر (وإذا ذُكر أصحاب محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمسك ولا تُمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينبذوا فيها ما شاءوا).

وقال الحافظ ابن عبد البر عن السلف: ونهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع لنا قاعدة في ترك المراء، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا**»، رواه أبو داود وحسنه الألباني.

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ الله: اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ الله: واعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة.

وقال ابن أبي زيد القيرواني في الرسالة في منهج أهل السنة: وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون.

العجيب أني مرة سمعت لأحد الرؤوس من أهل البدع ممن يزعم أنه مالكي، يذكر هذا النص عن ابن أبي زيد، ويقول فيه: وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون، فنحن ما نخاصم في ديننا ولا نلتفت إلى هؤلاء الذين يقولون: إنهم أهل الحديث، وهذا كثير سبحان الله في هؤلاء المخالفين للسنة وأهل السنة.

وقال محمد بن حسين بن علي: الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحناء في صدور الرجال.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ الله تعالى: المراء في الدين يقسي القلب، ويورث النفاق.

وأهل الأهواء يا أخون كما قلنا يُعرض عليهم الحق ما يتركون؛ بل يُعرض عليهم الحق، وتقام عليهم

الحجة من قادر على إقامتها، ولا يخاصمون في استدلالاتهم لأن مخاصمتهم لا تفيد شيئًا بل تضر.

وقد قال بعض مشايخنا: اسحبهم إلى طريقك ولا تنزل إلى طريقهم، اسحبهم إلى طريقك لأنك في علو وهم في سفل، فاسحبهم إلى طريقك بعرض السنة، والتمسك بالسنة، ولا تنزل إلى طريقهم فتخاصمهم بنفس طريقتهم، فإنهم لا ينتفعون بذلك شيئًا وقد يحسنونه أكثر منك، وقد تُسبب مخاصمتهم بطريقتهم الفتنة لبعض الناس، فقد يلبسون على من يخاصمهم، وقد يلبسون على من يسمع الخصومة معهم.

ولهذا قال أبو قلابة: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم، أو يُلبسوا عليكم ما تعرفون، وكم مرة ذكرنا يا أخوة أنه في التاريخ والواقع هناك من اغتر بنفسه، فاقترب من أهل البدع، وصار يسمع كلامهم بطريقتهم، وقد يجادلهم ويخاصمهم، فلبسوا عليه، ووقعوا في بعض ما هم عليه.

وذكرت لكم مرارًا يا أخون: أن هناك طالبًا من طلابي في كلية الشريعة، قبل ما يقرب من أربعٍ وثلاثين سنة كان متشددًا جدًا في السنة؛ بل كان يتجاوز في المعاملة، فكنا نحاول أن نهذبه، ثم لما تخرج من الجامعة التحق بجامعة فيها رأس من رؤوس الحزبيين، فقال لي: أنا سأناظره، سأذهب عنده في المكتب وأناظره على تعبير العوام أكسر رأسه؛ فقلت له: لا تذهب إليه، فإني لا آمن عليك الفتنة، لكنه ما يطع وصار يتردد عليه في مكتبه؛ حتى صار من ألين الناس مع الحزبيين وأهل الأهواء.

قال النخعي: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم - أن ترتد قلوبكم يعني عن السنة- وأن تقعوا في البدعة.

وجاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ الله: أن رجلاً من أهل الأهواء أتاه؛ فقال: يا أبا سعيد إني أريد أن أخاصمك، إني أريد أن أجادلك، فقال له الحسن البصري: إليك عني، فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه.

وقيل للحسن بن عتيبة: ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ قال: الخصومات.

وقال الفضيل بن عياض: لا تجادلوا أهل الخصومات؛ فإنهم يخوضون في آيات الله.

وجاء في طبقات الحنابلة أن الإمام سُئل: يا أبا عبد الله أكون في مجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري، فيتكلم مبتدع فيه، أأرد عليه؟ يعني قد أفاجأ بأن أكون في مجلس ما فيه من يعرف السنة إلا أنا، وقد أضطر

إلى هذا، أحيانًا مثلاً يُعقد اجتماع للأئمة، يعقد اجتماع للمدرسين، فما يوجد منهم إلا رجل واحد من أهل السنة، فيتكلم واحد من أهل البدعة بالبدع والأهواء مثلاً والحزبيات.

فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى: لا تنصب نفسك لهذا، أخبره بالسنة ولا تخاصم. لا تدخل معه في بدعته والجدال في بدعته، أخبره بالسنة القاسمة لبدعته، ولا تخاصمه.

إذًا معنى ترك المخاصمة ألا نخاصمهم بطريقتهم، وألا ندخل معهم في جدال بطريقتهم، وإنما نبين السنة ودليلها ووجهها ونسكت.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَترك الْخُصُومَات فِي الدّين، وَتَرك الْمِرَاء وَالْجِدَال، وَالسَّنَّةُ عِنْدَنَا آثَار رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

الشيخ: ما في عندك والجلوس مع أصحاب الأهواء؟

الطالب: لا، الجملة قال: (وَترك الْخُصُومَات فِي الدّين، وَتَرك الْمِرَاء وَالْجِدَال).

الشيخ: ترك الجلوس مع أصحاب الأهواء من أهل البدع، فإن من يجالس المبتدع لا يسلم غالبًا، إن نجا دينه لم يسلم قلبه من الألفة، وإن نجا دينه وسلم؛ وسلم قلبه من الألفة لم يسلم ٠١:٢١:٢٦ ولابد.

قال سفيان الثوري: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره.

نعم لو كان يجالس أهل الأهواء ويمازحهم ويضاحكهم ويدخل ويخرج عليهم، وهو رجل صالح معروف عند الناس سيفتنون به ويجالسون أهل الأهواء، ويقولون: لو كان فيهم شيء ما صاحبهم فلان.

قال: وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموا به، وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه.

إياك أن تغتر؛ بل كن حذرًا، أغلى ما عندك دينك، إن شئت أن تعلب فلعب بكل شيء إلا دينك، لا تجعله عرضة، حافظ عليه أعظم من محافظتك على عينيك، إياك أن تقول: أنا بحمد الله منذ الصغر وأنا مع أهل السنة، وأن اليوم في الأربعين، كما يقول بعضهم: قد عجلت بالسنة، وتذهب وتجلس مع أهل البدع، والله ما تأمن ٠١:٢٣:٤٠ وما تأمن أن يقع لك شيء ممن ذكرناه.

قال إسماعيل الطوسي: إياك أن تجلس مع صاحب بدعة.

وقال الإمام أحمد: أهل البدع لا ينبغي لأحد أن يجالسهم وأن يخالطهم وأن يأنس بهم.

سبحان الله!! كيف تأنس بأهل البدع وهم مجافون للسنة؟!! إن كنت صادقًا تحمل السنة صدقًا فإنك لن تأنس بأصحاب الأهواء.

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ الله: كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم.

وقيل للأوزاعي رَحِمَهُ الله: إن رجلاً يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدعة، أنا ما أفرق بين الناس والناس فيهم خير، أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدعة؛ فقال: هذا يريد أن يساوي بين الحق والباطل، السنة حق والباطل، فكيف يساوي بين أهل الحق وأهل الباطل؟ ومجالسة أهل السوء لا تجلب خيرًا، وشر أهل السوء أهل الأهواء، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك**»، يعني خير «**إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحًا خبيثة**»، متفق عليه.

قال العلماء: المعنى أن الجليس الصالح إما أن يهديك خيرًا، يدلك على سنة، أو يدلك على طاعة، وإما أن تسأله فيجيبك بخير، وإما أن يحصل من مجالستك له سمعة حسنة، وأما الجليس السوء فإما أن يعطيك سوءًا، وإما أن تكتسب منه سمعة سيئة، وكلام السلف في هذا طويل.

لكن لكثرة الخوض فيه، وإدخال ما ليس منه فيه، أنبه إلى أن الرجل من أهل السنة قد يجالس أهل البدعة غير عالم أنهم أهل بدع.

يا أخوة: لو أن مدرسًا عُين في مدرسة، جديد في منطقة ما يعرفها، وجلس مع المدرسين يضاحكهم ويمازحهم وهم أهل بدع وهو لا يعرف أنهم أهل بدع، أو لو أن رجلاً زار بلدًا في مهمة أو نحو ذلك، وجلس مع ناس مع يعلم أنهم أهل بدع، فإنه لا يعاب بذلك، ولا يقال عند أهل السنة والجماعة: إنه يجالس أهل البدع، لكن يُنصح ويُعلم ويُنبه أن هؤلاء أصحاب بدع، فحقه على أخوانه أن يعرفوه وأن يحذروه، أما أن يطيروا بهذا وينشروه فهذا من فساد القلوب، وليس من النصح.

قال البربهاري: إذا رأيت الرجل يجلس مع رجلٍ من أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى.

كذلك عند أهل العلم لا يدخل في ذلك الجلوس مع أهل البدع بغير اختيار، وأضرب لكم مثالًا يعرفه الطلاب، قاعدة الدرس تجمع طلابًا على السنة، وطلابًا من أهل الأهواء من أهل الحزبيات، يجلسون مع بعضهم في القاعة؛ لأن القاعة ليست بالاختيار، فلا يُعاب الطالب أنه يجالس أهل الأهواء والبدع في قاعدة الدرس، كذلك قد يجلس عالم من علماء السنة بجوار عالم من علماء أهل البدع في مناقشة علمية لرسالة مثلاً، هو يدرس في جامعة وكُلف لمناقشة رسالة، وكلف الآخر من أساتذة الكلية وهو من رؤوس أهل الأهواء، هذا جلوس بغير اختيار، وبعض الناس يصور وينشر، الشيخ فلان يجالس رؤوس أهل البدع، هذا ليس من طريق أهل السنة والجماعة، ما دام أنه جالسهم بغير اختيار.

وانظروا يا أخوة الذي سأل الإمام أحمد أنه يكون في مجلس ليس فيه أحد يعرف السنة، فيتكلم مبتدع أيرد عليه؟ ما قال له الإمام أحمد: ما الذي أجلسك بينهم؟لأنه ظاهر من السؤال أنه يكون مضطرًا إلى هذا.

كذلك لا يدخل في هذا إذا اقتضت نصرة الحق أو أهل الحق الجلوس مع أهل البدع لإسماعهم الحق، قد يقتضي نصر الحق أو نصر أهل الحق الجلوس مع أهل الأهواء، فهذا مقام ضرورة والضرورة تقدر بقدرها، لا يكون ذلك ديدنًا، ومن ذلك أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذهب إلى الخوارج، وقد خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم كلاب أهل النار، لماذا ذهب إليهم؟ لعله يكفي المسلمين شر قتالهم، لينصر الحق وأهل الحق، فذهب إليهم وعرض عليهم الحق فرجع ثلثان منهم وبقي ثلث.

إذًا يا أخوة هذا فقه يجب إدراكه، ونحن في زمن كثر فيه الخلط، فمن جانب تجب التساهل من بعض الناس، ومن جانب تجد من يُدخل في الأصل ما ليس منه، من الناس من يضع التمر مكان الجمر، وهذا خطأ عظيم.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ الله تَعَالَى: وَتَرك الْمِرَاء وَالْجِدَال.

(الشرح)

هذا قدمنا الكلام عنه عند الكلام عن ترك الخصومات.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ الله تَعَالَى: وَالسّنَةُ عِنْدَنَا آثَار رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

أنتم تقولون: أصول السنة، فما هي السنة؟ قال: **(وَالسّنَةُ عِنْدَنَا)** أي أهل السنة جميعًا هي آثار رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالسنة التي يجب لزومها استدلالًا واعتقادًا وعملاً واتباعًا هي كل ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعلٍ أو تقرير.

وكما قدمت سابقًا: العبرة عند أهل السنة والجماعة بالثبوت، فإذا ثبت الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ به أهل السنة كأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافههم به، بخلاف أهل البدع، فإنهم يردون من السنة ما يردون.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَالسّنة تفسر الْقُرْآن وَهِي دَلَائِل الْقُرْآن.

(الشرح)

السنة شارحة للقرآن وموضحة لما في القرآن، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن القرآن يُفسر بالقرآن، ويُفسر بالسنة، ويُفسر بآثار الصحابة، فإن عُدم ذلك يُفسر باللغة العربية.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ الله: واعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة، وأن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معناه أو معنى ما أراد عَزَّ وَجَلَّ أو أثرٍ عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُعرف ذلك بما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أصحابه، فهم شاهدوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهدوا تنزيله وما قصه له القرآن وما عُني به، وإلى أُريد به، أهو خاص أم عام؟ فأما من تأوله على ظاهرٍ بلا دلالة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحدٍ من أصحابه فهذا تأويل أهل البدع.

يعني الذي يأخذ بظاهر الآية ويفسرها هكذا دون الرجوع إلى القرآن، أو دون الرجوع إلى السنة، أو دون الرجوع إلى ما أُثر عن الصحابة فلا يرجع إلى هذا أصلاً، فإن هذا ليس من طريقة أهل السنة والجماعة؛ بل هذا من طريقة أهل البدع.

ولذلك يا أخوة: أهل البدع قد يحملون النص على ظاهره، وتكون الآيات أو الأحاديث أو الآثار دلت على أنه على خلاف ظاهره، وقد يحملون النص على غير ظاهره بلا دليل.

إذًا ما هو تأويل أهل البدع؟

تأويل أهل البدع له صورتان أو وجهان:

الصورة الأولى: تأويل النص على ظاهره بدون عودٍ إلى القرآن والسنة وآثار الصحابة، فيؤولونها ابتداءً،

وقد يكون في القرآن والسنة وآثار الصحابة ما دل على خلاف ما فسروه.

الصورة الثانية: صرف اللفظ عن ظاهره إلى غير ظاهره إلى المحتمل المرجوح بغير دليل.

إذًا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ الله: فهذا تأويل أهل البدع؛ لأن الآية قد تكون خاصة، ويكون حكمها حكمًا عامًا، وقد يكون ظاهرها على العموم، وإنما قُصدت لشيء بعينه. يعني يكون ظاهرها العموم وهي خاصة. ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُعبر عن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وما أراد، وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أعلم بذلك منا، لمشاهدتهم الأمر وما أريد بذلك.

هذا باب عظيم يا أخوة، إياك أن تفسر نصًا ولاسيما ما يتعلق بالعقيدة على ما تفهم أنت فتقول برأيك؛ بل ارجع إلى القرآن فقد تجد تفسير النص، وكما قلنا مرارًا النصوص يُجمع بعضها إلى بعض، ثم ارجع إلى السنة فقد تجد تفسير ذلك، ثم ارجع إلى الصحابة فقد تجد تفسير ذلك، ثم ماذا؟ ارجع إلى كلام أئمة أهل السنة؛ فإنهم فسروا النصوص بما يكفي ويشفي، والزم هذا، هذا مراد الإمام أحمد بهذا الأصل، فالسنة تفسر القرآن، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبين للقرآن.

وموضح للقرآن، السنة يا أخوة لها طرفان:

١. طرف يخدم القرآن فيفسر القرآن ويوضح القرآن، ويبين المراد بها في القرآن.

٢. وطرف ينفرد ويأتي بأحكام، وعقيدة.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»، رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

إذًا الناس طرفان:

١. طرفٌ يتمسك بما في السنة ويعلم أن السنة من الله مثل القرآن، فإذا ثبتت السنة أخذ بها.

٢. وطرفٌ لا يجعل للسنة مقامًا ويقول: حسبنا القرآن، نرجع إلى القرآن، ولو رجع إلى القرآن صادقًا

لأخذ بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَلَيْسَ فِي السّنة قِيَاس وَلَا تضرب لَهَا الْأَمْثَال.

(الشرح)

انتبهوا إلى هذه الجملة عظيمة جدًا، وعدم العمل بها سبب لانحراف أقوام وأقوال، السنة عند أهل السنة والجماعة لا تُقابل بالقياس والمعقول، فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فلا تقابل السنة بالرأي، ولا تُقابل السنة بالقياس، ولا تُرد بالعقول، ولا تُضرب لها الأمثال، فإذا ثبتت السنة ولم يكن لها معارض مثلها أو أعلى منها فإن الواجب أن يؤمن العبد بها، وألا يردها بالقياس.

وأضرب مثالًا: حدث أحد المحدثين بحديث احتجاج موسى وآدم عليهما السلام، فقال أحد الجالسين: كيف وبين آدم وموسى زمنٌ طويل؟ فزجره الخليفة الذي كان يُحدث في مجلسه وقال: يُحدثك بحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: كيف؟!!

من المرض العظيم أن يقول الإنسان في حديث ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عقلي لا يصدق هذا، عقلي لا يقبل هذا، نعم والله، ربما كان عقلك قاصرًا أو كان قلبك مريضًا، فحجزك قصور عقلك أو مرض قلبك عن تصديق الحديث، وعن قبول الحديث، فالعبد يعلم أن الكتاب والسنة نورٌ تُدفع بها كل ظلمة، فإذا كان في عقلك ظلمة أو في قلبك ظلمة فأنر عقلك وقلبك بنور الكتاب والسنة، ولا تدفع الكتاب والسنة.

فبعض الناس يقول: نعم هذا الحديث صحيح وفي الصحيحين، لكن عقلي لا يقبله؛ لأنه كذا وكذا، ويأتي بقواعد من رأسه، هذا مرض، وهذا ليس على طريق أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: قول الإمام أحمد في أول رسالته في السنة. يعني هذه الرسالة التي نقرأها. ليس في السنة قياس ولا يُضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول، فبين أن ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجوز أن يُعارض بضرب الأمثال له، ولا يُدركه كل أحد بقياس، ولا يحتاج أن يثبته بقياس؛ بل هو ثابت بنفسه، وليس كل ما ثبت يكون له نظير حتى تُضرب له الأمثال، فلا يحتاج المنصوص خبرًا وأمرًا إلى قياس.

طريقة أهل السنة والجماعة أن العبر بالثبوت كما قلنا، فإذا ثبتت السنة انقادت لها القلوب، وانقادت لها العقول، ولا يُرد صحيح السنة بمرض في القلب أو قصور في العقل، وإنما يعالج القلب بصحيح السنة، ويُنارُ العقل بصحيح السنة.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَلَا تدْرك بالعقول وَلَا الْأَهْوَاء إِنَّمَا هُوَ الإتباع وَترك الْهوى.

(الشرح)

السنة يا أخوة وحيٌ من الله، والوحي من الله إنما يُدرك بالتلقي، السنة أعلى من هذه الطرق أعني العقول والأهواء، والعقل قد لا يُدرك نورًا قبل أن تأتي به السنة، فإذا جاءت به السنة استنار العقل وأدرك هذا النور، ولذلك أهل السنة والجماعة يقولون: السنة تُنير العقل وتصلحه، وأهل الأهواء يحكمون العقول في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: قال الإمام أحمد في رسالته في السنة: ليست في السنة قياس، ولا يُضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول، هذا قوله، وقول سائر أئمة المسلمين؛ فإنهم متفقون على أن ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تدركه الناس بعقولهم، ولو أدركوه بعقولهم لاستغنوا عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العقول موجودة قبل الرسول، فلو كان الناس يدركون الحق بعقولهم المجردة لما كان لبعثة الرسل فائدة.

قال: ولا يجوز أن يعارض بالأمثال المضروبة له، فلا يجوز أن يعارضه الناس بعقولهم، ولا يدركونه بعقولهم، فمن قال للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي. انظروا هذه الجملة كيف هي قبيحة؟ لو أن رجلاً قابل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي، ما أقبح هذه الجملة، فالذي يضاد السنة بهذا كالذي يقول للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا.

قال: فمن قال للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي، أو أنت صادق فيما لم تخالف فيه الدليل العقلي، لم يكن مؤمنًا به، وإن قدم على كلامه دليلاً عقليًا ليس بصحيح لم يكن مؤمنًا به.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا، الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا لَا يُقَال لم وَلَا كَيفَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيق وَالْإِيمَان بهَا.

(الشرح)

لما تقدم وجوب لزوم السنة ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أن من السنة اللازمة التي هي عقيدة وأجمع عليها السلفُ أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفون بها؛ المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زمن الإمام أحمد؛ وأدرك الإمام من أدركه من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، وأنها السنة التي مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائليها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائغ عن منهج السنة وسبيل الحق، أن منها الإيمان بالقدر خيره وشره، قليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره، وأنه قدرٌ قدره الله عَزَّ وَجَلَّ.

والوقوف فيه عند النصوص هو منهج أهل السنة والجماعة جميعًا، فأهل السنة والجماعة يرون أو الواجب عدم التعمق في القدر؛ بل يُكتفى بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فالقدر سر الله تعالى، أطلعنا في الكتاب والسنة منه على ما يصلحنا، فالواجب علينا أن نقتصر في باب القدر على ما أطلعنا الله عليه، في كتابه أو في سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**»، يعني لا تزيدوا على ما في الكتاب والسنة، والحديث رواه الطبراني وصححه الألباني بطرقه.

ولا يقال في قدر الله: لمَ؟، على سبيل الاعتراض، فإن الله لكمال علمه، وكمال عدله، وكمال حكمته لا يُسأل لمَ؟ على سبيل الاعتراض، وإنما يُسأل الناس لنقصهم وقصورهم.

مع الإيمان الجازم بأن كل قدر الله عدلٌ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظلم الناس شيئًا، والإيمان الجازم بكمال حكمة الله، فقدر الله فيه الحكمة التامة، نعم يا عبد الله، نعم، قد تحب شيئًا ويُقدر الله لك خلافه، فإذا جاء هذا القدر فاعلم أن الحكمة فيما قدره الله، لا فيما أحببته، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكيم عليم، والله

لا يتحرك متحرك في الكون ولا يسكن ساكن في الكون، ولا يقع شيء في الكون، ولا يُمنع شيء عن أهل الكون إلا بحكمة، وفيه الحكمة.

ومن آمن بهذين الأصلين:

١. أن قدر الله عدلٌ كله، وحكمةٌ كله.

٢. مع إيمانه بإحاطة علم الله.

وأن الله علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب ما علم، وأمر القلم بالكتابة في اللوح المحفوظ، وأنه سبحانه شاء كونًا وقوع المقدور المقدر؛ فإنما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن، ولا يقع فيه كون الله إلا ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وآمن أن الله خلق العباد وأفعالهم، إذا آمن بهذا وأدرك يقينًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه آمن بالقدر حق الإيمان، وارتاحت نفسه، وأيقن أنه إذا وقت شيء لو اجتمع الإنس والجن والملائكة على أن يردوه ما استطاعوا أن يردوه، وإذا امتنع شيء واجتمع الإنس والجن والملائكة على أن يجلبوه ما استطاعوا أن يجلبوه، هذا هو ما يجب الإيمان في القضاء والقدر.

وأهل السنة يؤمنون بهذا ولا يعارضون أقدار الله بالأسئلة، لِمَ؟ وكيف؟ بخلاف أهل البدع، فإن أهل البدع من شأنهم أن يعارضوا القدر بالأسئلة، لماذا يفعل الله كذا؟ وينفون عن القدر الحكمة، وهم جهلة، مثلاً المعتزلة يقولون: لماذا يعذب الله الأطفال؟ لماذا يتألم الأطفال؟ يعارضون القدر بـ لِمَ؟ ويقولون: هذا ما فيه حكمة، والله إن فيه حكمة عظيمة، من حكمه أن الطفل لولا الألم لما امتنع عما يضره، لولا إحساس الطفل بالألم لما امتنع عما يضره، لولا أنه لو وضع يده على النار لاحترقت لوقع في النار؛ لأن الطفل ما يمكن أن يكون أهله معه دائمًا، لكن لو أنه مرة فقط وضع يده على النار أو قرب يده إلى النار فأحس بالألم لم يهرب من النار مرة أخرى.

لكن أهل البدع لا يقفون عند النصوص ولا يفقهون، ويزعمون أنهم أهل العقل، ويعارضون القدر بالأسئلة، بخلاف أهل السنة والجماعة.

وإذا آمن المؤمن بالقضاء والقدر كما آمن به أهل السنة والجماعة؛ فإنه يطمئن لكل ما يقع، إن أصابته سراء علم أنها من قدر الله، ومن فضل الله فشكر الله عليها، وإن أصابته ضراء علم أنها من قدر الله وأن

فيها حكمة، فصبر عليها؛ لأنه يرجو أن تنجلي عن فائدة عظيمة، وكم من مصيبة حلت تبين بعد فترة أن في حلولها خير.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ فَعَلَيهِ الْإِيمَان بِهِ وَالتَّسْلِيم مثل حَدِيث الصَّادِق المصدوق، وَمثل مَا كَانَ مثله فِي الْقدر، وَمثل أَحَادِيث الرُّؤْيَة كلهَا وَإِن نبت عَن الأسماع واستوحش مِنْهَا المستمع، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَان بهَا، وَأَن لَا يرد مِنْهَا حرفا وَاحِد وَغَيرهَا من الْأَحَادِيث المأثورات عَن الثِّقَات.

(الشرح)

هذا أصلٌ ضابط في التعامل مع النصوص، وقد تقدم يا أخوة أن تأويل النصوص وتفسير النصوص له عند أهل السنة والجماعة طريق، وهو الرجوع إلى القرآن، ثم الرجوع إلى السنة، ثم الرجوع إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

وتعرفون يا أخوة أن العلماء يقولون: إن تأويل النصوص نوعان:

النوع الأول: التأويل بمعنى معرفة الحقيقة، وما يؤول إليه الشيء، وهذا غيبٌ لا يُعلم إلا بإخبار الله، الكيفية، وما يؤول إليه الشيء في الواقع، هذا غيب، لا يعلم إلا بإعلام الله، ويُراد به بيان المعنى، وهذا يُعلم.

والواجب كما تقرر وتكرر الإيمان بالنصوص، وعدم ردها، وعدم صرفها عن معانيها الظاهرة، مع اعتقاد ظاهر معانيها على الوجه اللائق بعد الرجوع إلى الكتاب والسنة وأقاويل الصحابة، فإن ضعف العقل عن إدراك ما فيها، تحير العبد، شك، سمع تشنيع المبتدعة، اليوم يا أخوة المبتدعة وهذا شأن من قبل، لكن اليوم هذا يحدث كثيرًا يشنعون على أهل السنة والجماعة بقولهم ببعض الأحاديث، ويذكرون تشنيعًا عليها، لا يجوز للمسلم إذا سمع تشنيع أهل البدع على حديث أو نحو ذلك أن يتركه ويرده؛ بل الواجب أن يؤمن بما فيه.

فإذا لم يعلم تفسيره من القرآن ولا من السنة ولا من أقاويل الصحابة فعليه أن يرجع إلى كتب أهل السنة، ويبتعد عن كتب أهل البدع، فإن أهل السنة قد كفوه المئونة، قد بحثوا ودللوا وبينوا ووضحوا، ولذلك كُتب أهل السنة علاج للقلوب عند الاشتباه، إذا اشتبه الأمر على الإنسان ووقعت حيرة فعليه

الرجوع إلى الطبيب، الطبيب هنا كتب أهل السنة والجماعة، علاج للقلب عند الاشتباه.

قال أبو يعلى مفسرًا هذه الجملة التي معنا: فقول أحمد: **(وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ معناه)** يعني قد كفاه ذلك أهل العلم، وأحكموا له علمه، فدل على التفسير.

إذًا إذا ضعف عقلك أيها المؤمن عن فهم نص في الكتاب والسنة إياك أن ترده، وإياك أن تخوض فيه مع أهل البدع؛ بل ارجع إلى كتب أهل السنة والجماعة، وستجد الجواب الكافي والعلاج الشافي.

ويشير الشيخ هنا إلى أن الصحابة يشيرون إلى هذا الأصل عند روايتهم لبعض الأحاديث، فبعض الأحاديث قد يقصر العقل عن إدراكها، فيُشير الراوي من الصحابة إلى لزوم التسليم بقولهم: حدثنا الصادق المصدوق. حدثنا الصادق الذي لا يكذب، المصدوق الذي صدقه ربه، ويُصدقه المؤمنون، وما دام أن الذي حدث هو الصادق المصدوق، كيف يُرد؟ كيف يُشك فيه؟!!

ومن ذلك ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«حدثنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق؛ قال: إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب علمه، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»**، متفق عليه.

والشاهد أن ابن مسعود قدم بهذه المقدمة **«حدثنا الصادق المصدوق»**، وما دام أن الذي يُحدث هو الصادق المصدوق فيجب الإيمان، ويجب التسليم.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ الله تَعَالَى: وَأَن لَا يُخَاصم أحدًا وَلَا يناظره وَلَا يتعَلَّم الْجِدَال فَإِن الْكَلَام فِي الْقدر والرؤية وَالْقُرْآن وَغَيرهَا من السّنَن مَكْرُوه ومنهي عَنهُ، لَا يكون صَاحبه وَإِن أصَاب بِكَلَامِهِ السّنة من أهل السّنة حَتَّىٰ يدع الْجِدَال ويؤمن بالآثار.

(الشرح)

قلت لكم: إنكم سترون أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يكرر هذا الأصل لعظم أثره، وقد تقدم الكلام عن

أصل أهل السنة في ترك الخصومات في الدين، وترك مخاصمة أهل الأهواء، والمقصود هنا: أن يكون المؤمن وقافًا عند النصوص، عند نصوص الكتاب والسنة بفهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألا يخاصم أهل الأهواء بطرقهم، وإنما زاده وسلاحه الكتاب والسنة بفهم الصحابة رضوان الله عليهم، والشيخ هنا يذكر أمرًا مهمًا يا أخوة، أن الرجل من أهل السنة لابد من أن يوافقهم في قولهم وفي طريقهم، أما أن يوافقهم في قولهم ويسلك طريقًا غير طريقهم فإنه ليس من أهل السنة.

يعني يا أخوة: لو أن شخصًا يقول ما يقوله أهل السنة، ما تلاحظ في كلامه خلافًا لكلام أهل السنة، لكن إذا فتشت عن طريقه وجدت أن طريقه غير طريق أهل السنة، وجدت أنه يخاصم في الدين، ويخاصم أهل الأهواء، ويدعو الناس إلى العقل، ويعظم العقل، ويجعله حاكمًا على النصوص؛ فإنه ليس من أهل السنة، وإن قال بقول أهل السنة.

إذًا لابد أن ننتبه إلى هذه القضية:

الرجل من أهل السنة لابد من أن يوافق أهل السنة في أصولهم، وعقيدتهم، وطريقتهم، فإن زعم أنه من أهل السنة لكن وُجِد أنه لا يسير على طريق أهل السنة فليس من أهل السنة، وهذا أمرٌ من الأهمية بمكان.

لعلنا نقف عند هذه النقطة لأن عندي صلاة المغرب في قباء الليلة، وغدًا إن شاء الله نكمل الباقي حتى لو وصلنا إلى أذان المغرب إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ بارك الله فيكم، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم.

غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ يا أخوة قد نطيل إلى أذان المغرب إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، فوطنوا أنفسكم، واستعدوا للصبر، والعلم ثقيل، لكن مآله جميل، حسن، وكلما حسن الشيء صعب طريقه، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا من الصابرين المثابرين المرابطين، وأن ينفعنا بالعلم ونجعل الأسئلة غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فأسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بأسمائِهِ الحُسنى، وصفاتِهِ العُلا، أن يزيدَ أُمةَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عددا، وأن يُكسبها قوةً وهيبة، وأن يُحييها بالتوحيدِ وَالسُّنّة، وأن يجمعَ كلمتها على ذلك.

معاشر الفُضلاء، نواصلُ اجتمعنا على أمرٍ عظيم، حيثُ نشرحُ رسالةَ أصولِ السُّنّة لإمامِ أَهْل السُّنَّة، فِي مسجدِ نبي السُّنّة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الرسالةُ العظيمة التي ينبغي على المؤمنينَ أن يُعظموها وأن يفهموها، وأن يُظهروها؛ فإن فيها أصولَ السُّنّة.

وما أحوجَ الأُمة إلى أن تتمسكَ بأصولِ السُّنّة، وأصول السُّنّةِ هذه التي بين أيدينا هي عقيدةٌ يُعقدُ عَلَيْهَا القلب، ويظهرُ أثرُها فِي الأعمال، وهي علامةٌ لأهل السُّنّة، فلا يُقالُ للرجُلِّ إنه سُنيٌ أو مِنْ أهلِ السُّنّة إلا إذا اجتمعت فيهِ هذه الأصول.

أما إن خالفَ فيها أو فِي بعضِها أو فِي واحدٍ منها، أو عابَ مَنْ أظهرها، أو استهزأ بِمَنْ يُظهرُها؛ فإنه خارجٌ عن أهلِ السُّنّة، ليس مِنْ أَهْلِ السُّنَّة.

وقد تقدمَ شرحُ بعضِ هذه الرسالةِ الجليلةِ العظيمةِ المُفيدة، وَفِي هذا المجلس سنواصلُ شرحَ ما تبقى منها؛ فإن تمكنا مِنْ إنهاءِ الشرحِ قبلَ المغرب ختمنا بإذنِ الله، وإن لم نتمكن وبقيَ شيءٌ فإنا إن شاء اللهُ بعدَ المغرب ننتقلُ إلى كُرسي الشيخ عبد المحسن العباد حفظهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لِنُتمَ الشرح.

وقد طلبتُ مِنْ الإخوةِ القائمينَ على التدريس أو تُجهزَ تلك الحلقة احتياطًا حتى لا نستعجلَ فِي الشرح بما قد يُخلُ بالمقصود، فنواصلُ شرحَ هذه الرسالة العظيمة التي ندعو المُسلمينَ جميعًا إلى معرفتها، والعلمِ

بها، وفهمِها، وتحقيقها فِي أنفُسِهم، ودعوةِ مَنْ يعرفونَ إليها، فإن ذلك مِنْ أعظم الواجبات المتحتِمات والفروضِ اللازمات، فيتفضل الابن نورُ الدين وفقهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا مِنْ حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياءِ والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمّا بَعْدُ؛ فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ الله تَعَالَى فِي رسالةِ أصول السنة: وَالْقُرْآن كَلَامُ الله وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

وَلَا يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ: القُرآنُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

قال: وَإِيَّاك وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِه، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ، فَقَالَ لَا أَدْرِي أَمَخْلُوقٌ أَو لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ؛ فهوَ صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

(الشرح)

يعني مِنْ الأصول اللازمة التي جاءت بها السنة وماتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ جميعًا، مِنْ أولهم مِنْ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى مَنْ تلاهم مِنْ الأئمة العِظام، الكِرام، مِنْ تلكَ الأصول: أن القُرآنَ جَمِيعَهُ كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غيرُ مخلوق، وأنَ اللهَ سُبْحَانَهُ يتكلمُ متى شاء، بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكلامٍ حقيقي يُسمعُ، والكلامُ الذي يُسمع له حرفٌ وصوت.

هذه عقيدةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وإنا مُصدقونَ لربنا، وإنا مؤمنونَ بما قال ربُنا، وإنا لمعتقدونَ اعتقادًا جازمًا ما قاله ربنا، واللهِ إن ربنا قد كلمَ موسى عَلَيْهِ السلام بكلامٍ سمعهُ موسى عَلَيْهِ السلام، فله حرفٌ وله صوت، وأكد اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذلك بقولهِ: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

وقال سُبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فالذي كلمَ موسى هو ربهُ هو ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأضافَ الكلامَ إليه سُبحانه، وجعلهُ مِنْ صفته فهو ليسَ مخلوقًا يقينا، بل هو صفةٌ لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وروى الطبريُ فِي صريح السُّنّة عن عمرو بن دينارٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّه قال: (أدركتُ مشايخنا منذُ سبعينَ سنة يقولون: القُرآنُ كلامُ الله منهُ بدأ، وإليه يعود).

والإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: (القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، على كُلِّ جهة، وعلى كُلِّ وجهِ تصرف، وعلى أي حالٍ كان، لا يكونُ مخلوقًا أبدًا. فإذا تلاهُ التالي فهو كلامُ الله، وإذا سمعهُ السامع فهو كلامُ الله، وإذا كتبهُ الكاتب فهو كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦])، وهو سيسمعهُ مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَ هذا المسموعَ وهذا الملفوظَ، وهذا المكتوبَ كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بلا شك.

قال الإمامُ أحمد: (ولم يقل: حتى يسمعَ كلامكَ يا محمد).

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ فِي الصَّلَاة: «لا يصلحُ فيها شيءٌ مِنْ كلامِ النَّاس»، ونحنُ نقرأُ القُرآنَ فِي الصَّلَاةِ وجوبًا فِي الفاتحة، واستحبابًا فِي السورةِ أو ما يتلو الفاتحة مما تيسرت قراءته.

فالقُرآنُ كلامُ الله ليسَ كلام النَّاس. والواجبُ على المؤمن أن يعتقدَ هذا اعتقادًا جازمًا، وأن يقول: **(القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق)** مُراغمةً لأهل البِدع الذين يقولون: القُرآنُ مخلوق.

ويجبُ على المؤمن أن يحذرَ حذرًا شديدًا مِنْ مقولة: (لفظي بالقُرآنِ مخلوق) فإن هذا ليس مِنْ كلام السلف رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وإنما أحدثهُ أهلُ البدع لما حدثت الفتنة بالقول بخلق القُرآن، أحدثَ بعضُ أهل البدع مُفرعًا على هذه الفتنة القول: (بأن لفظي بالقُرآن مخلوق) ليتسترَ به أهلُ البدع، ولاسيما بعدما كُسرت شوكةُ القائلين: إن القُرآنَ مخلوق. فلما كُسرت هذه الشوكة ونصرَ الخليفةُ المتوكل السُّنّة والقولَ بأن (القُرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق)، احتاجَ أهلُ البدع أن يتستروا بعقيدته، فتستروا بهذه المقولة: (لفظي بالقُرآنِ مخلوق).

جاء فِي طبقات الحنابلة عن أبي الحارثِ أن الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ، سُئِلَ عن قول الكرابيسي وأنه يقول: (لفظي بالقُرآنِ مخلوق)، فقال: هذا قولُ جهمٍ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦])، فممن يسمعُ كلام الله؟ إنما يسمعهُ مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معاشر الفضلاء، إن قولَ القائل: لفظي بالقُرآنِ مخلوق يحتملُ أن يكونَ مقصودهُ بلفظِهِ الملفوظَ والمسموعَ والمكتوب، وهذا هو كلامُ الله، فتكونُ حقيقةُ جُملتِهِ أن يقول: القُرآنُ مخلوق.

لكن يتسترُ بالعبارة، وإلا فالمعنى هو المعنى.

وهذا مقصودُ قائليه فِي زمن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، ولذلكَ ذكرَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنَّه فِي بعض الرواياتِ عن الإمامِ أحمد رَحِمَهُ اللهُ قال: (مَنْ قال: لفظي بالقُرآن، يقصدُ به القُرآن فهو جهمي).

ويحتمل أن يكونَ المقصودُ باللفظِ حركةَ اللسان، والصوت الذي يُسمع، ولا شك أن هذا مخلوق، فإن الإنسانَ وفعلهُ وصوتهُ مخلوق.

ولما كان هذا كهذا، فإن السلف ينهونَ عن أن يقولَ الإنسانُ: لفظي بالقُرآن مخلوق. وأن يقول: لفظي بالقُرآن غيرُ مخلوق. ينهونَ عن هذا وعن هذا؛ لأنه فِي الحالتين يحتمل، فِي الحالتين يحتمل، وكان أهلُ البِدع يقصدونَ به فِي قولهم: لفظي بالقُرآن مخلوق: القُرآن. فهو ستارٌ لأهل البدع، وستارُ أهل البِدع يجبُ كشفه، واجتنابه.

__**ومن وجهٍ آخر:**__ أن هذا قد يُلبسُ على النَّاس، قد يكون مقصودُ الإنسانِ صحيحًا لكنَ الذي يسمعه قد يفهمُ شيئًا آخر.

__**ومن وجهٍ ثالث:**__ أن هذا لم يُعهد عن السلف، إلا فِي الردِ على المبتدعة القائلين: لفظي بالقُرآنِ مخلوق.

الكلامُ عن اللفظِ فِي هذا المقام لم يُعهد عن السلف، لا فِي باب الإثبات ولا فِي بابِ النفي.

➤**فالواجبُ على المؤمن: أن يجتنبَ هذا القولَ مُطلقًا.**

حتى وردَ عن الإمامِ أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّه قال: (مَنْ قال: لفظي بالقُرآن مخلوق فهو جهمي، وَمَنْ قال: لفظي بالقُرآن غيرُ مخلوق فهو مبتدع) خالفَ طريق السلف رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم فِي هذا الباب.

ولا يضعفُ المؤمن عن أن يقولَ: (القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق)، ولا يترددُ فِي ذلك ولا يشك، ولا يقف، فلا يقولُ: أنا أقول: القُرآنُ كلامُ الله. وأسكت. ولا أقول: غير مخلوق؛ لأن هذا فِي الحقيقة إنما نشأَ شكًا، لما لبس المعتزلة تلبيساتهم على النَّاس شكَ بعضُ النَّاس، فقالوا: إذًا ما نقول مخلوق ولا غير مخلوق، نقول: القُرآن كلامُ الله.

والشكُ فِي هذا المقام لا يجوز، والتزامُ ألفاظ السلف واجب، ونُصرةُ أهلِ الحَقِّ عزيمة.

الشكُ فِي العقيدة لا يجوز، والتزامُ ألفاظ السَلف واجب، فرض، ونُصرةُ أهل الحَق عزيمة.

والواقفة قد ذمهم السلفُ كثيرًا، قال الخلال: أخبرنا الحسنُ بن ثوابٍ أَنَّه قال لأبي عبد الله أحمدَ بن حنبل، الواقفة؟ قال: هم شرٌ مِنْ الجهمية، استتروا بالوقف.

طبعًا يا إخوة أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ألزمُوا بقول: (غير مخلوق) فِي جملة (القُرآنُ كلامُ الله) لما أحدث المبتدعة القولَ الخبيثَ المُبتدع الذي هو كُفر فِي الحقيقة، حيثُ قالوا: القُرآن مخلوق. فلما أحدثوا هذا القولَ الخبيث الكُفري، ألزمَ السلف وأئمة السلف بقول: (غير مخلوق) مُراغمةً لأهل البدع وإظهارًا لقولِ أهل الحق.

ولذلك قال أبو داود رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ أحمدَ سُئل: هل لهم رُخصة أن يقولَ الرجل: كلامُ الله. ثم يسكت؟ فقال: ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقعَ فيهِ النَّاس كان يسعهُ السكوت.

لولا هذه البدعة الخبيثة كان يسعهُ السكوت، ولكن حيثُ تكلموا فيها تكلموا، لأي شيءٍ لا يتكلمون.

وخذها قاعدة يا طالب العلم: لا تضعف عن كلامِ أَهْل السُّنَّة فِي زمنك، فأظهر كلامَ أَهْل السُّنَّة، وتكلم بكلامِ أَهْل السُّنَّة؛ فإن هذا مِنْ علامات السُّنّة أن يُدندنَ الرجلَ بكلامه بألفاظَ أئمة أَهْل السُّنَّة فِي زمانه، وألا يضعفَ عن هذا الأمر، وقد تقدمَ معنا أن السُنيَ يقولُ بما فِي النصوص، ويعتقدُ ما فِي النصوص، ويدعو النَّاسَ إلى الحَقّ بالنصوص، ولا يخوضُ فِي طُرقِ أهل البِدع فإنها ليست طريقًا صحيحة، وإنما يسلكُ طريقَ أئمةِ أَهْل السُّنَّة.

وقد تقدمَ مرارًا أن السُنيَ لا يُخاصمُ فِي دينه، ولا يُجادلُ فِي دينه، ولا يُناظرُ فِي دينه؛ فإنه على يقينٍ مِنْ دينه، فيعرضُ الحَقَّ على النَّاسِ بالحق، يعرضُ السُّنّة بالقُرآن وَالسُّنّة وكلام السلف رِضْوَانُ اللّه عَلَيْهِم.

➤**ولا يُجادلُ أهلَ الأهواء بطُرقِهم، ولا يُناظرُ أهل الأهواء؛ فإن مناظرة أهل الأهواء لا تنفعهُ**؛ لأنك إن ناظرته بما تعتقدهُ مِنْ أدلة، فإنهم لا يعتقدونها، وإن ناظرتهم بطرقِهم فإنكَ قد لا تُحسنُها؛ فيكونُ جدالك لهم بطُرقهم عائدًا عليكَ بالضرر، وعائدًا على الدينِ بالضرر، وعائدًا على النَّاسِ بالضرر.

إذًا أهلُ البِدع لا يُناظرون، ولا يُجادلون، السُني يُظهرُ لهم السُّنّة ويدللُ على السُّنّةِ، ثم لا يدخلُ معهم فِي طُرقهم.

وهناكَ ملمحٌ آخر: وهو الحفاظُ على هيبة السُّنّة، والحفاظُ على عِزة السُّنّة؛ فإنكَ إن ناظرتَ أهلَ الأهواء بطرقهم أضعفت هذه الهيبة، وقد ترفعُ أهل البدع.

وأُنبهُ هنا إلى أَنَّه فِي زماننا ظهرَ صِغارٌ لا قيمةَ لهم، يُخالفونَ أصولَ السُّنّة أو بعضها، فينبري بعضُ الفُضلاءِ إلى مُجادلتهم، وهذا خطأٌ؛ فإن مجادلتهم رفعٌ لشأنِهم، وهم لا شيء، فلا ينبغي أن يُناظروا، ولا أن يُجادلوا، بل جوابُ السفيهِ أن تسكتَ، الذي يقتل السفيه أن تسكت عنه، هو يتكلم لأنه يراكَ فِي مكانٍ عالٍ أو ما تعتقدهُ فِي مكانٍ عالٍ، فيُريد أن تتكلمَ عَلَيْهِ ليراهُ النَّاس فِي ذاكَ المكان عندك، حتى يشتهر ويُعرف ويُقال: فلان وفلان.

فمن حكمِ منع السلف مِنْ مُناظرةِ أهل البِدع: ألا يُرفعَ أهل البدع، وإلا يُرفعَ طريقهم، وأن تُحفظَ هيبةُ السُّنّة، وهيبةُ أَهْل السُّنَّة.

ولكن مَنْ اضطرَ إلى مناظرتِهم مِنْ العلماء المتمكنين لنُصرة الحَقِّ ونُصرة أهلِ الحَقَّ؛ فإنه يُناظرهم فِي مكانِهم، لا يناُظرهم علنًا؛ فإن هذا قد يُشربُ قلوبَ النَّاس الفتنة، وإنما يُناظرهم فِي مكانهم، كَمَا فعلَ ابنُ عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا مع الخوارج، والمناظرةُ غيرُ الرَدِ؛ فإن المناظرةَ مُقابلة، وأما الردُ عليهم وكَسرُ ما يُظهرونه للناس؛ فهذا للعلماء المتمكنين كَمَا فعلَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ ردَ كلامَ أهلِ البِدع، وكما فعلَ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ ردَ كلام أهل البِدع.

إذًا يا عبد الله لا تُناظر أحدًا ولا تُخاصم أحدًا فِي كون القُرآنِ كلامَ الله غيرَ مخلوق، وكلامُ الله بدأَ مِنْ الله، فهو ليسَ بائنًا منهُ وعنه.

لأن أهل البدع يقولون: هو بائنٌ عنهُ، فبدأ مِنْ المخلوق ولم يبدأ مِنْ الله، وهذا ضلالٌ مُبين وكُفر.

فالقُرآنُ بدأَ مِنْ الله، وسمعهُ جبريلُ عَلَيْهِ السلام مِنْ الله، وليسَ مِنْ اللهِ شيءٌ مخلوق، بل هو صفةٌ مِنْ صفات الله، أعني: كلامَ الله، وصفةُ اللهِ ليست مخلوقةً يقينا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْم الْقِيَامَة كَمَا رُوِيَ عَن النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم من الْأَحَادِيث الصِّحَاح.

(الشرح)

نعم، أي مِنْ السُّنّةِ اللازمة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ولا يكونُ الرجلُ سُنيًا إلا إذا آمنَ بها: الإيمانُ برؤيةِ المؤمنينَ ربهم يومَ القيامة، وَفِي الجنة بالأبصار، رؤيةً حقيقية، لكنَ الأبصارَ لا تُحيطُ بالله، تراهُ ولا تُحيطُ به.

هذا الإيمان عقيدةُ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢١ - ٢٣]؛ فهي تنظرُ إلى ربها يومَ القيامة.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترونَ ربكم كَمَا ترونَ القمر لا تُضَامُونَ -أو تضامونَ- فِي رؤيتهِ» كَمَا فِي الصحيحين. النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ ذلك فِي ليلةٍ قمرية، فِي ليلة البدر حيثُ كان الصحابة يرونَ البدرَ فأخبرهم بذلكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترونهُ عِيانًا» كَمَا عند البخاري فِي الصحيح، أي سترونهُ بأعينكم، ورؤية العيون رؤيةٌ حقيقة.

وقد روى مسلمٌ فِي صحيحهِ عن صُهيبٍ الرومي: أنّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنة» اللّهمَ اجعلنا منهم يا رب العالمين (آمين). «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنة؛ يقولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُريدونَ شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا، ألم تُدخلنا الجنة وتُنجنا مِنْ النار». قال: «فيكشفُ الحِجاب، فما أعطوا شيئًا أحبَ إليهم مِنْ النظرِ إلىٰ ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ». أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم ووالدينا وَمَنْ نُحب ممن يتنعمونَ برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قال رحمة الله عَلَيْه: وَأَن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رأىٰ ربه؛ فَإِنَّهُ مأثورٌ عَن رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم صَحِيح، قد رَوَاهُ قَتَادَةُ عَن عِكْرِمَةَ عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ الحكم بن أبان عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ عَليّ بن زيد عَن يُوسُف بن مِهْرَانَ عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ

عَنْهُمَا، والْحَدِيثُ عندنَا علىٰ ظَاهره كَمَا جَاءَ عَن النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدعَة، وَلَكِن نُؤمنُ بِهِ كَمَا جَاءَ علىٰ ظَاهره وَلَا يُناظر فِيهِ أحدًا.

(الشرح)

نعم، هذه مسألة مهمة، وهي: هل رأى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه فِي ليلة المِعراج عندما عُرِجَ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

☚ **قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ: اتفقَ أئمةُ المسلمين، على أن أحدًا مِنْ المؤمنين لا يرى اللهَ بعينِهِ فِي الدنيا، إلا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

إذًا عندنا شيء محل اتفاق، وشيء وقع فيه خلاف.

أما محلُ اتفاق: فهو أَنَّه ليسَ لأحدٍ مِنْ النَّاس فِي الدنيا أن يرى الله بعينهِ.

وَمَنْ زعمَ أَنَّه أو أن شيخهُ رأى اللهَ بعينه، فهو كذابٌ أشر، مِنْ الدجاجلة.

والنقطة التي وقعَ فيها الخلاف: هل رأى أشرفُ البَشر وسيدُ البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَهُ؟

قال الشيخ: إلا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، مع أن جماهيرَ الأُمة على أَنَّه لم يرهُ بعينهِ فِي الدنيا.

وعلى هذا دلت الآثارُ الصحيحةُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة، وأئمة المسلمين، ولم يثبت عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا عن الإمامِ أحمدَ وأمثالها: أنهم قالوا: إنَ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينه.

نعم، لم يأتِ قط عن واحدٍ مِنْ الصحابة، ولا عن واحدٍ مِنْ الأئمة، كالإمام أحمد أَنَّه قال: إن الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينه، أبدًا، حتى فِي هذه القطعة التي معنا، قال: (بل الثابتُ عنهم: إما إطلاقُ الرؤية) يعني مِنْ غير قيد، يقول: رأى ربهُ. (وإما تقييدُ الرؤيةِ بالفؤاد) أي أنهم يقولون: رأى ربهُ بفؤادهِ، بقلبهِ.

(وليسَ فِي شيءٍ مِنْ أحاديث المِعراج الثابتة أَنَّه رآهُ بعينهِ). هذا كلامُ الشيخ فِي تحقيقِ المسألة.

فلننظر إليها، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعلموا أَنَّه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربهُ عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يموت**» رواهُ مُسلم.

«تعلموا أنَّه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربهُ عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يموت»، **فأفادنا هذا فائدتين:**

الفائدة الأولى: أن مِنْ اليقين والعِلم أنَّه لن يرى أحدٌ ربهُ بعينهِ فِي الدنيا.

والفائدة الثانية: أَنَّه سيرى ربه يوم القيامة.

ومعنى: «تعلموا» اعلموا وتيقنوا وعلموا. فهذا فصلُ الخِطابِ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اتفقَ أئمةُ المسلمين على هذا.

وأما رؤيةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، فقد جاءَ عن أبي ذرٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أَنَّه قال: سألتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيتَ ربك؟ قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نورٌ أنىٰ أراه» رواهُ مُسلمٌ فِي الصحيح.

هذا سؤال، سؤال مُباشر واضح: هل رأيتَ ربك؟

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نور»، حجابهُ النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «أنىٰ أراه»، وأنى فِي لغة العرب للبُعدِ والاستبعاد.

وجاءَ عن أُمنا عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا، وهي زوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنها قالت: «مَنْ حدثكَ أن محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربهُ فقد كذب» رواه البخاري فِي الصحيح.

ومعنى: «فقد كذب» عند السلف فقد أخطأ.

فـ«من حدثكَ أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربهُ فقد كذب» أي أخطأَ.

ولا شكَ أَنَّه ثبتَ عن ابنِ عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا بُطرقٍ ذكرَ الشيخُ الإمام أحمد بعضها، أَنَّه سُئِلَ: هل رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربهُ؟ فقال: نعم.

فقال ابن عباس: إن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ.

لكن ما مقصودهُ بهذا؟ هو ما قال رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وعن أبيه: رأى ربهُ بعينهِ. قال: رأى ربهُ.

وأولى مَنْ يُفسرُ كلامَ الإنسان الإنسانُ نفسهُ. إذا أردتَ أن تُفسرَ كلامَ رجل، فانظر إلى كلامه، فإن وجدتَ تفسيرَ كلامهِ؛ فهو أولى ما يُرجعُ إليه.

جاءَ عند مُسلمٍ فِي الصحيح، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه قال: «رآهُ بفؤادهِ مرتين».

إذًا مقصود ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنهُمَا برؤيةِ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، أَنَّه قد رآهُ بفؤاده. وهذا لا إشكالَ فيه.

وعلى هذا أيضًا يُحملُ كلامُ الإمام أحمد، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن الإمامَ أحمد رَحِمَهُ اللهُ إنما استدلَ بكلام ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، فيرجعُ إلى كلامه.

والأمر الثاني: أَنَّه لم يأتِ عن الإمام أحمد قط أَنَّه قال: رآهُ بعينِه.

قال المروزي -أحدُ تلاميذ الإمام أحمد-: قُلْتُ لأبي عبد الله: إن قومًا يقولون: إن عائشةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَنْ زعمَ أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظمَ الفِرية»، فبأيِ شيءٍ تدفعُ قولَ عائشة؟

يعني لأن الإمام أحمد يقول: رأى ربهُ.

فقال رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بقولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيتُ ربي».

وقولُ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبرُ مِنْ قولها.

وقد فُسرَ قول الإمام أحمد بأنه رآهُ بفؤادِهِ أو رؤيا منام. وقد جاءَ هذا صريحًا عن الإمام أحمد، ففي رواية حنبل: قُلْتُ لأبي عبد الله: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه؟ قال: رؤيا حُلُم رآهُ بقلبِهِ.

وقال الأثرم: قُلْتُ لأبي عبد الله: إلى أي شيءٍ تذهب؟ -يعني فِي هذه المسألة-.

قال الأعمشُ عن زياد عن بن الحُصين عن أبي العالية، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأىٰ محمدٌ ربه بقلبِهِ».

فهذه رواياتٌ صريحة مِنْ الإمام أحمد تُفسرُ قولهُ.

❍**إذًا نقول:** لم يأتِ فِي النصوص، ولا عن أحدٍ مِنْ السلف أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينه، وإنما الذي جاء مُفسرًا مفصلًا: أَنَّه رآهُ فِي المنام أو رآهُ بفؤادِهِ، بقلبه. وهذا الأمر ظاهرٌ بحمد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَالْإِيمَان بالميزانِ يَوْم الْقِيَامَة كَمَا جَاءَ: «يُوزنُ العَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَة فَلَا يَزِنُ جنَاحَ بعوضة» ويوزن العبدُ وأَعمال الْعباد -كَمَا جَاءَ فِي الْأَثر-، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ والإعراضُ عَن من ردَ ذَلِك وَتركُ مجادلته.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول السُّنية الشريفة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة ومنبعها مِنْ سُنةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ماتَ عَلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفقت كلمةُ أَهْل السُّنَّة عَلَيْهَا، وعلى أَنَّه لا يكونُ سُنيًّا إلا مَنْ أتى بها: **الإيمانُ بالميزان فِي يوم القيامة، وأنه ميزانٌ حقيقي، له كِفتانِ ولسان.**

قال ابنُ حَجر رَحِمَهُ اللّه: قال أبو إسحاقٍ الزجاج: أجمعَ أَهْل السُّنَّة على الإيمانِ بالميزان، وأنَّ أعمالَ العبادِ توزنُ يومَ القيامة، وأن الميزانَ له لسانٌ وكِفتان، ويميلُ بالأعمال، قال تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وقال سُبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فدلت هذه الآياتُ العظيمة مع إجماعِ السَّلَف على الميزان.

وَفِي صحيح البخاري، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كلمتانِ حبيبتانِ إلىٰ الرحمن، خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ فِي الميزان: سبحان اللهِ وبحمدهِ، سبحان الله العظيم». فهذا يُثبت الميزان، وأن الأعمالَ توزنُ فيهِ.

وعن أبي مالكٍ الأشعري رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطهورُ شطرُ الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان» رواهُ مُسلمٌ فِي الصحيح.

وما الذي يوزنُ في هذا الميزان؟

دلت الأدلةُ الصحيحةُ الصريحة على أن الأعمالَ نفسها توزن، كَمَا تقدمَ معنا قبلَ لحظة، وعلى أن العامِلَ نفسهُ يوزن، لكنَ الوزنَ ليسَ بالجسم، وإنما بما اكتسبهُ الجِسمُ مِنْ الخيرات والأعمال الصالحة؛ نعم، إن

العاملينَ سيوزنونَ فِي الميزانِ يومَ القيامة، لكن لن يثقلَ المتينُ السَمين، ويخفَ الرفيعُ الدقيق، وإنما القضيةُ قضيةُ ثقل الصلاح الذي يكونُ عَلَيْهِ صاحبُ هذا الجِسم.

ولذلك مِنْ رشيقِ الكلام، قولُ بعض العلماء: المؤمنُ الصالح خفيفٌ فِي الجنازةِ، ثقيلٌ فِي الميزان.

المؤمن الصالح إذا حُمل على النعش إلى قبره، يجدهُ حاملوهُ خفيفًا، يكادون يطيرونَ به، وهذا المؤمن يكونُ ثقيلًا فِي الميزان.

قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة، لا يزنُ عند اللهِ جناحَ بعوضة، ويؤتىٰ بالرَجُلِ النحيفِ الضعيفِ دقيق الساقين فإذا به يزنُ الجِبال» رواهُ الإمام أحمد.

وجاءَ أن الصحابيَ الجليلَ المُقرئ الفقيهَ ابنَ مسعودٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، كان يجتني سواكًا مِنْ أراك، -يعني مِنْ شجرة أراك-، للنبيِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يُتحف النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسواك؛ لأن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحب السواك، فمن السُّنّة أن يُحب المؤمن السواك، وقد أدركنا مشايخنا لا يُفارقهم السواك.

مِنْ لطيفِ ما سمعتهُ مِنْ الشيخ الأقصير رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رحمةً واسعة، وجزاهُ خيرًا عن أَهْل السُّنَّة، يقول لطُلابه، وما ألطفَ معاملتِهِ لطُلابه، يقول: هل رأيتموني مرةً داخلًا هذا المسجد وليسَ معي سواك؟

يسألهم، يقول: هل رأيتموني مرة دخلت المسجد ليسَ معي سواك؟

السُّني يُحب السواك؛ لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبهُ، ويستعملُ السواك؛ لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعملُ السواك.

قُلتُ هذا عرضًا مِنْ باب حث الإخوة على العناية بهذه السُّنّة، وإلا هذا ليس مِنْ الأصول، لكنها سُنة يَشرفُ الإنسانُ بها.

الشاهدُ: أن ابنَ مسعودٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه كان يجتني سواكًا مِنْ أراك للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت الريحُ تكفؤهُ -يعني تُحركه-، النحيف الهواء والريح الشديدة تُحركه.

مِنْ لطيف ما أذكرهُ مِنْ باب تخفيف الكلام: عندما كُنتُ فِي الكُلية كان وزني أربعةً وخمسينَ كيلو، فكانَ أحدُ الزملاء يقول: والله يا سُليمان إذا جاءت ريح أني أنظر فوق أبحث عنك.

فابن مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، كانت الريحُ تكفؤهُ، وكان فِي ساقيهِ دِقة، فضحكَ أصحابُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: ما يُضحكم؟ قالوا: لدقةِ ساقهِ.

ضعيف، نحيف. ما قالوهُ سبًا ولا ذمًا، حاشاهم، لكن أضحككهم هذا.

فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، لهو أثقلُ فِي الميزانِ مِنْ أُحد» رواهُ أحمد.

وتوزنُ الصحائف التي تُكتبُ فيها الأعمال مِنْ خيرٍ أو شر، كَمَا فِي حديث السجلات الذي عند الترمذي بإسنادٍ صحيح.

فهذه كلها توزن كَمَا دلت عَلَيْهِ الأدلة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَأَن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُكلمُ الْعبادَ يَوْمَ الْقِيَامَة لَيْسَ بَينهم وَبَينه تُرجمان، والإيمانُ بهِ والتصديقُ بهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أهلُ السُّنّة ويلزمُ المُسلمَ أن يعتقدها، وأن يؤمنَ بها: الإيمانُ بأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ العِبادَ يومَ القيامة ليسَ بينهُ وبينهم تُرجمان، -تَرجُمان، تَرجَمان- ثلاث لغات، أجودها وأصرحُها: تَرجُمان، بفتح التاء وضم الجيم (تَرجُمان).

يعني لو قال الإنسان: (تَرجُمان) فهو صحيح، وهذا الأفصح، ولو قال: تُرجُمان، فهذا صحيح. ولو قال: تَرجَمان، ففتحَ التاء والجيم، فهذا صحيح.

والتُرجُمان هو الذي يُعبرُ عن المعنى.

الآن يا إخوة لو جاء شخص بريطاني مثلًا، يُريد أن يُكلمني، وهو يتكلم الإنجليزية، وأنا لا أعرفُ مِنْ الإنجليزية يعني شيئًا يُذكر، والذي نعرفهُ أحيانًا نُخطئ فيه. مرةً كُنت فِي فندق، وللأسف فِي بلد عربي، لكن لا يتكلمون فِي الفندق إلا الإنجليزية، فجئتُ أُريد الخروج مِنْ الفندق، يعني ما أعرف كيف أقول له، فأسمع أنا، فأقول له: checken up، أسمع النَّاس يقولون: check up. فأنا أقول له: checken up، فرأيتهُ يضحك، فعرفت أني أخطأت.

الشاهد: جاء يُريد أن يُكلمني، لَا بُدَّ أن يكون هناك تُرجُمان بيني وبينهُ.

الله عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ العِباد يوم القيامة، يُكلمُ عبدهُ ليسَ بينه وبينه تُرجُمان. اللهُ أكبر، ما أعظمها يا إخوة، ما أعظمها، والله لو آمنا بهذا حَقَّ الإيمان لاستحيينا أن نعملَ السيئات. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يومَ القيامة سيُكلمُني أنا العبد بأعمالي، كيف لا أستحي مِنْ ربي أن يكونَ مِنْ أعمالي ما يُغضبهُ!

لكنا نغفل، نؤمن لكن نغفل. فجميل يا إخوة أن نُذكر أنفسنا دائمًا بهذا، إذا تزينت لكَ المعصية، وتيسرت لك، وضعفت النفس، وجاءَ الشيطان يدفعُكَ إليها، فذكر نفسك، قُل: أنا سأقفُ بين يدي الله، وسيُكلمُني الله عَزَّ وَجَلَّ، فهل يُعجبُني أن يعرضَ عليَّ هذا؟ وأن يقولَ لي هذا؟

لا شكَ أنكَ ستقول: لا.

فهذا مما يُعين المؤمن على السلامة مِنْ المعاصي.

وقد جاء فِي حديث عدي بن حاتمٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أَنَّه قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم مِنْ أحدٍ إلا سيُكلمهُ ربه، ليسَ بينهُ وبينهُ تَرجُمان، فينظرُ أيمنَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظرُ أشأمَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظرُ بينَ يديه فلا يرىٰ إلا النار، فاتقوا النارَ ولو بشقِ تمرة» مُتفقٌ عَلَيْهِ.

قال أبو بكرٍ الخلال: أخبرني عليُّ بن عيسى، أن حنبلًا حدثهم، قال: قُلْتُ لأبي عبد الله: اللهُ يُكلمُ عبدهُ يومَ القيامة؟

قال: نعم، فمن يقضي بينَ الخلائقِ إلا الله عَزَّ وَجَلَّ!

وَفِي الصحيحين. أن رجلًا أتى ابنَ عُمرَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا فقال: كيفَ سمعتَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فِي النجوى؟

قال: سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن اللهَ يُدني المؤمنَ يومَ القيامة، حتىٰ يضعَ عليهِ كنفه، يسترهُ مِنْ النَّاس، فيقولُ: أي عبدي، تعرفُ ذنبَ كذا، وكذا؟ فيقولُ: نعم، أي ربي. حتىٰ إذا قررهُ بذنوبِهِ، ورأىٰ فِي نفسهِ أَنَّه قد هَلك. قال: فإني سترتُها عليكَ فِي الدنيا، وقد غفرتُها لكَ اليوم».

المؤمن الذي يخاف الله، ويستترُ بذنوبهِ، ليسَ حياءً مِنْ النَّاس، وإنما يستحي مِنْ الله أن يعصيهُ أمام النَّاس.

ما هو إذا خلا انتهك، لأنه لا يُراقبُ الله، لا، يستحي أن يعصيَ الله أمام النَّاس، فيستتر بذنوبه، يسترهُ الله يوم القيامة جزاءً لاستتارهِ بذنوبهِ حياءً مِنْ الله، وتعظيمًا لله أن يعصيهُ أمام النَّاس.

ويُقرره بذنوبه؛ أي عبدي، تعرفُ ذنب كذا؟

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كم نحمل مِنْ ذنوب، كم نحمل مِنْ ذنوب. نسأل الله أن يرزقنا التوبة، وأن يغفرَ لنا أجمعين. (اللَّهمَ آمين).

فالقضيةُ أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ عبدهُ يومَ القيامة، وَأَهْلُ السُّنَّة والجماعة جميعًا يؤمنونَ بهذا، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متكلمٌ، ويتكلمُ متى شاء بما شاء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بالحوض، وَأَن لرَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضًا يَوْم الْقِيَامَة يردُ عَلَيْهِ أُمته، عرضهُ مثل طولهِ مسيرَةُ شهر، آنيتهُ كعددِ نُجُوم السَّمَاء علىٰ مَا صحت بِهِ الْأَخْبَارُ من غيرِ وَجه.

(الشرح)

لا زال الكلامُ عن أصولِ السُّنّة المتعلقة باليوم الآخر، ومن أعظمِ ما يُميزُ أَهْل السُّنَّة: إيمانهم بالغيبيات التي صحت بها الأدلة مِنْ غيرِ شَكٍ ولا تردد، فما دامَ أن اللهَ قالهُ، أو أخبرَ به رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو عندهم حَقّ ويقين.

فمن الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة ويلزم اعتقادها: الإيمانُ بحوض النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عرصاتِ يومِ القيامة، وأنه تردُ عَلَيْهِ أُمتهُ، فيشربُ المؤمنون، وَمَنْ شربَ منهُ لا يظمأُ بعدهُ أبدًا.

ما معنى هذا يا إخوة؟

معنى ذلك: أَنَّه يشرب، ويشرب فِي الجنة، لكن يشربُ شُربَ نعيمٍ لا شُربَ ظمأ. إذا شرب مِنْ حوض النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -نسأل الله أن يجعلنا مِنْ هؤلاء-، لا يظمأُ بعدَ ذلكَ أبدًا. ما هو لا يشرب، لا يظمأ.

فلا يحتاجُ إلى الشُرب ولكن يتنعمُ بالشُرب.

ويُذادُ، ويُطردُ عنه أهلُ الأهواءِ والإحداث.

وأحاديثُ الحوض كَمَا قال العلماء: كثيرةٌ مُتواترة، جمعها النوويُ فجمعَ عددًا، وابنُ كثير فجمعَ عددًا. وجاء ابن حجر بعد الذين جمعوها قبله، فزادَ عَلَيْهَا مثلها. فكان الذين جمعوا قبل ابن حَجر ذكروا خمسينَ

حديثًا، يعني أحاديث كُل حديث لصحابي، ما يتكرر الصحابي، كُل حديث لصحابي. فزادَ عَلَيْهَا ابنُ حَجر ما يقربُ مِنْ مِثلها، فكانت قريبًا مِنْ الستين، وهي متواترة.

❍قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني واللهِ لأنظرُ إلىٰ حوضي الآن» متفقٌ عَلَيْهِ.

إذًا ماذا أفادنا هذا؟

أفادنا أولًا: ثبوتَ الحوض.

ثانيًا: أن الحوضَ كان موجودًا فِي حياة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينظرُ إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ويقولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن قدرَ حوضي كَمَا بين أيلةَ وصنعاءَ مِنْ اليمن». أيلة فِي الشام وهذا فِي الشمال. وصنعاء فِي اليمن وهذا فِي الجنوب. كَمَا بين أيلة مِنْ الشام، إلى صنعاء. يعني بسير الراكبِ السريع. وهذا الحديث كَمَا قلنا: متفقٌ عَلَيْهِ.

❍وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حوضي مسيرةَ شهرٍ زواياهُ سواء» كَمَا عند مُسلم فِي الصحيح.

ماذا أفادنا هذا؟

أفادنا هذا فِي صفة الحوض أَنَّه مربع، زواياه سواء. هذا شيء هندسي، والآن يقولون المربع متساوي، زواياه سواء. مسيرة شهر فِي مسيرة شهر. طولهُ مسيرة شهر للراكب المُجِد، وعرضهُ مسيرة شهر للراكبِ المُجِد.

❍وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن فيهِ مِنْ الأباريق كعددِ نجوم السماء» متفقٌ عَلَيْهِ.

بل عددُ آنيتهِ أكثر مِنْ نجوم السماء، فقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لآنيتهُ أكثرُ مِنْ عددِ نجوم السماء» رواهُ مُسلم فِي الصحيح.

وخذوها قاعدة يا إخوة: إذا ثبتت الأحاديثُ بأعدادٍ متفاضلة فِي شيءٍ واحد؛ فإنه يؤخذ بالأعلى، لا سيما فِي الفضل؛ فإن فضل اللهِ واسع.

وقد قال العلماء: هذا يُحمل بأن الله بَشرَ نبيهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا أن آنيتهُ كعددِ نجوم السماء، وَمَنْ يُحصيها! ثم بشرهُ ثانيًا تاليًا بأن عددَ آنيتهِ أكثر مِنْ نجوم السماء. والحكمة فِي هذا: إدخالُ السرورِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بعدهِ على أُمتهِ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَن هَذِه الأُمة تُفتنُ فِي قبورِها، وتُسأَلُ عَن الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَام، وَمَنْ رَبُّهُ وَمَنْ نبيهُ، ويأتيهِ مُنكرٌ وَنَكِير كَيفَ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيف أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة، وثبتت بها السُّنّة، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة، وهي علامةٌ على السُني، ويجبُ عقدُ القلبِ عَلَيْهَا: الإيمانُ بما يكونُ فِي القَبر مِنْ فتنةِ القَبرِ، ومن عذاب القبر، بما دلت عَلَيْهِ الأحاديث، فقد جاء فِي سُنن الترمذي: «إذا قُبِرَ الميت –أو قال: أحدكم– أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقان» أسودان أزرقان، هذا يُعبر بها العرب عن شدة السواد، أن سوادهما شديدٌ كأن فيهِ زُرقة.

وهذا ليسَ عيبًا، هذا وصف. «يُقالُ لأحدِهما المُنكر، وللآخرِ النكير» وهذا أيضًا ليسَ عيبًا، هذا اسم. ذاكَ وصفٌ وهذا اسم، وصفهما هكذا، واسمهما هكذا.

«فيقولانِ: ما كُنتَ تقولُ فِي هذا الرجل؟ فيقولُ: ما كان يقول: عبدُ اللهِ ورسوله، أشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأن محمدًا عبدهُ ورسولهُ». وَفِي آخر الحديث: «وإن كان مُنافقًا قال: سمعتُ النَّاسَ يقولون، فقلتُ مثله، لا أدري. فيقولانِ: قد كُنا نعلمُ أنكَ كُنتَ تقولُ ذلك» يعني وأنت لا تدري، وإنما تقولُ بلسانِك.

«فلا يزالُ فيها مُعذبًا حتىٰ يبعثهُ الله».

وَفِي سُننِ أبي داود عن البراء بن عازبٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه عن الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «فيأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهار، فينتهرانهِ، ويُجلسانهِ» إذًا هما ملكانِ، أسودانِ، أزرقانِ، شديدا الانتهار، اسمُ أحدِهما: المُنكر، واسمُ الآخر: النكير.

قال: «فيأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهار، فينتهرانهِ، ويُجلسانهِ، فيُقولانِ له: مَنْ ربكُ؟ ما دينُك؟ مَنْ نبيُك؟ وهي آخرُ فتنةٌ تُعرضُ علىٰ المؤمن» نسألُ الله أن يُثبتنا وإياكم. (آمين). المؤمن لا يزال فِي ابتلاء، لا يزال فِي فِتة، فلابدَ مِنْ أن يُفتنَ المؤمن، يُفتن فِي دُنياه، تمر به فتنة، ثم تمر به فتنة، ثم تمر به فتنة، وآخر فتنة يُفتن بها التي فِي قَبرهِ.

«فذاكَ حين يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقولُ: رَبِّيَ الله، وديني الإسلام، ونبي محمدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن صدقَ عبدي».

وقال فِي العبد الكافرِ أو الفاجر: «ويأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهارِ فينتهرانهِ، فيُجلسانهِ، فيقولانِ له: مَنْ ربُك؟ فيقولُ: هاهٍ هاهٍ، لا أدري. فيقولانِ له: ما دينُك؟ فيقولُ: هاهٍ هاهٍ لا أدري. فيقولانِ: فما تقولُ فِي هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمهِ، فيُقالُ: محمد-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقولُ: هاهٍ هاهٍ، لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقولونَ ذلك. فيقولانِ: لا دريتَ ولا تلوت. فيُنادي مُنادٍ أن كذبَ عبدي».

وَفِي الصحيحينِ مِنْ حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إن العبدَ إذا وُضعَ فِي قبره، وتولىٰ عنهُ أصحابُهُ، إنهُ ليسمعُ قرعَ نعالِهم إذا انصرفوا، أتاهُ ملكانِ، فيُقعدانهِ، فيقولانِ له: ما كُنتَ تقولُ فِي هذا الرَجُلِ محمد؟ فأما المؤمن: فيقولُ: «أشهدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورسولهُ». وأما الكافرُ أو المنافق، فيقولُ: «لا أدري، كُنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ فيه، فيُقالُ: لا دريتَ ولا تليت».

☚نؤمنُ بهذا علىٰ وجه الحقيقة، علىٰ ما وردت به النصوص، ونؤمنُ أَنَّه كائن، واللهِ إننا لنقبرُ الرَجُلَ، ثم ننصرفُ مِنْ عِنده، ونحنُ نعتقد أَنَّه يُسأل.

ولا يصح قولُ بعضهم: لا ينبغي أن تقولَ عن المقبور: فإنه الآن يُسأل؛ فإنا ما ندري. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قالَ ذلك لأنه يدري.

☚فنحنُ نقول: واللهِ لندري، «إنه ليسمعُ قرعَ نعالِ أصحابه»، واللهِ إنا نؤمنُ بهذا، ونؤمن أنهُ يُسأل هذه الأسئلة التي ثبتت عن الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◇**قال أحمدُ ابنُ القاسم:** قُلْتُ يا أبا عبد الله، تُقرُ بمُنكرٍ ونكير، وما يُروى فِي عذاب القبر؟

قال: نعم، سبحان الله!

يعني كيف تسألني عن هذا! كيف ما أُقر!

سبحان الله! نُقرُ بذلك ونقولهُ.

قُلتُ: هذه اللفظة (مُنكر ونكير) تقولُ هذا، أو تقول ملكين؟

قال: نقولُ: (مُنكرٌ ونكير)، وهما ملكان. وعذاب القبر.

أي ونؤمنُ بعذابِ القبر.

وقد ثبتَ عذاب، فمن النَّاسِ مُعذبٌ، ومن النَّاسِ منعمٌ.

وقد جاءَ فِي سُننِ أبي داود، فِي حديث البراء رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أَنَّه بعدَ الفتنة، «يُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن صدقَ عبدي، فأفرشوهُ مِنْ الجنة، وألبسوهُ مِنْ الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيهِ مِنْ روحِها وطيبِها، يُفسحُ له فِي قبرهِ مدَ بصره، ويأتيهِ رجلٌ حسنُ الوجهِ، حسنُ الثيابِ، طيبُ الرِيحِ، فيقول: أبشر بالذي يَسُرُك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ توعد. فيقولُ له: مَنْ أنتَ؛ فوجهُ الوجهُ الذي يجيءُ بالخير؟ فيقولُ: أنا عملُكَ الصالح. فيقولُ: يا رَبِّ أقسم الساعة حتىٰ أرجعَ إلىٰ أهلي ومالي».

وقال فِي الرجُلِّ الفاجرِ أو الكافر بعدَ الفتنة: «فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن كذبَ، فأفرشوهُ مِنْ النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار، فيأتيهِ مِنْ حَرِها، وسمومِها، ويُضيقُ عَلَيْهِ قبره حتىٰ تختلفَ فيهِ أضلاعُه، ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثِياب، مُنتنُ الرِيح، فيقولُ: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ توعد. فيقولُ: مَنْ أنتَ؛ فوجهُكَ الوجهُ الذي يجيءُ بالشر؟ فيقولُ: أنا عملُكَ الخبيث. فيقولُ: رَبِّ لا تُقم الساعة».

أَهْلُ السُّنَّةِ يؤمنونَ بهذا، ويعتقدونَ أَنَّه كائنٌ على الحقيقة، ولا يسألونَ بكيف؟ كيف يكون هذا فِي القبر. بعضهم يقول: فتحنا القبر ما وجدنا هذا. إذا دخلتم القبر ستجدونه، والله إذا دخلتم القبر ستجدونه. هذا أمرٌ أخفاهُ اللهُ عنا، هذه الحياة البرزخية، لكن مَنْ قُبِرَ وجد. -نسأل الله ألا نجدَ إلا خيرًا. (أمين)-.

☚بل ثبتَ أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعَ بعضَ أصوات المعذبين، وإنا واللهِ لنؤمن ونُصدق أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعَ بعضَ أصواتِ المُعذبين فِي قبورِهم.

قُلْتُ كَمَا قدمت: إن هذه الأصول علامة على أَهْلِ السُّنَّة، فإذا وجدتَ رجُلًا، ولو كان يوصف بأنه عالم، ولو كان يُعظمهُ كثير مِنْ النَّاسِ، إذا وجدتهُ لا يؤمنُ بفتنة القبر، ولا يؤمن بعذاب القبر؛ فاعلم أَنَّه ليسَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة، ألقهِ مِنْ القُفة، ليسَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة، وإن زانَ كلامهُ عندَ النَّاس، وإن كان كثير مِنْ النَّاسِ يسمعون له، ما دام أَنَّه لا يؤمن بفتنة القبر، ولا يؤمن بعذاب القبر، على ما وردَ فِي الأحاديث؛ فإنهُ لا يكونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَالْإِيمَانُ بشفاعة النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم، وبقوم يُخرجُونَ مِنْ النَّارِ بَعْدَمَا احترقوا وصاروا فحما، فَيُؤْمَرُ بِهم إِلَىٰ نَهرٍ علىٰ بَاب الْجنَّة -كَمَا جَاءَ فِي الْأَثر- كَيفَ شَاءَ وكما شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة، وصدقها أَهْلُ السُّنَّةِ، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ علىٰ المُسلمِ أن يعتقدها: **الإيمانُ بشفاعة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

والشفاعة كَمَا تعلمون جميعًا، هي التوسطُ للغيرِ بدفعِ الضُّرِ أو جلب الخير.

ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافعٌ مُشفع، لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشفعُ إلا بعدَ أن يستأذنَ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُشفعُ لمُشرك؛ فهؤلاء الذين يُشركون ويدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ثم يطلبون شفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم يطلبونها مِنْ الله وليسوا أهلًا لها، يطلبونها مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُشركون حتى فِي طلب الشفاعة، هؤلاءِ لا حظَ لهم فِي شفاعة النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- فوالله إن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشفعُ لمُشرك، إلا ما جاءَ عنهُ بالشفاعةِ لعمهِ لتخفيف العذابِ عنه.
- والشفاعةُ لَا بُدَّ فيها مِنْ إذن اللهِ للشافع، ورضا اللهِ عن الشافع.
- والمقصودُ مِنْ الشفاعة للشافع: تكريمهُ.
- ولابدَ فيها مِنْ رضا الله عن المشفوعِ له.

تقولون: المشفوع له، طيب، **أليست شفاعةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر مِنْ أُمته؟**

نقول: بلى والله.

إذًا كيف تقولون: لَا بُدَّ مِنْ رضا الله عن المشفوعِ له؟

نقول: رضا الله عن المشفوع له بتوحيدِهِ، لَا بُدَّ أن يكونَ موحدًا، فغيرُ الموحد الذي يُشرك بالله الشرك الأكبر، ليسَ أهلًا للشفاعة. قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

إذًا يا إخوة انتبهوا: الشفاعةُ كُلُّها لله، إنما يملكها الله، واللهِ إن نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملكُ الشفاعة، لكنه يُعطىٰ الشفاعة.

مالكُ الشفاعة هو الله، ولذلكَ لا تُطلبُ الشفاعة إلا مِنْ مالكِها، إلا مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تُطلبُ مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل طلبُها مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمنعُها؛ لأنه شِركٌ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وشفاعةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع:

- **منها شفاعةٌ خاصة**، وهي شفاعتهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقضاء بين النَّاس، وشفاعتهُ لفتح باب الجنة، وشفاعتهُ لعمهِ أبي طالب أن يُخففَ عنه العذاب.

- **وهناك شفاعة عامة للنبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيرهِ ممن يأذن الله له، لكنَ أحظَ النَّاس بالشفاعة العامة المُشتركة هو النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

-ومن شفاعتهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعتهُ لقومٍ موحدينَ مِنْ أهل الكبائر، يستحقونَ دخولَ النارِ بذنوبِهم، ولا يعفو الله عنهم، فيشفعُ لهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقبلُ اللهُ شفاعتهُ، فلا يدخلونَ النار، ويدخلونَ الجنةَ ابتداءً.

-وهناكَ أُناسٌ مِنْ الموحدين، يدخلونَ النارَ، فتشفعُ لهم الملائكة، ويُخرج الله مَنْ شاء.

-ويشفعُ لهم الأنبياء عليهم السلام، فيُخرج الله مَنْ شاء.

- ويشفعُ الصالحونَ لأصحابِهم، لجُلسائهم الذين كانوا يُجالسونهم فِي الخير، كانوا يُصلون معهم، كانوا يصومون معهم، كانوا يجلسون معهم فِي حِلق العلم، لكنهم فعلوا كبائر استحقوا بها دخول النار؛ فيدخلون النار. فإذا جاوزَ أولئك الصالحون الصراطَ ورأوا أنهم قد نجو، شفعوا لأصحابِهم، وقالوا: يا ربنا إخوانُنا كانوا معنا؛ فيُشفعهم الله، ويُحرمُ الله أجسادهم على النار، ويأذنُ لهم بدخول النارِ لإخراجِ إخوانِهم، فيُخرجونَ مَنْ يعرفون.

ولذلك مِنْ فوائدِ الصُحبة الصالحة: أَنَّه الإنسانَ يرجوا لو زلت به القدم فكان مِنْ أهل الكبائر، وحكمَ الله عَلَيْهِ بالنار، ودخلَ النار، أن يشفعَ له أولئك الصالحون الذين يُجالسُهم.

والجُلساء الصالحون هم أَهْلُ السُّنَّةِ، أما أهلُ البدعة فهم جُلساء سوء، والله أهلُ البِدع ما يجلون خيرًا لا فِي الدنيا ولا فِي الآخرة، احرص على أن تُجالس أَهْلَ السُّنَّة، كُن معهم، وقوي شوكتهم، وكَثِر عددهم؛ فإن فِي مُجالستِهم خيرًا فِي الدنيا والآخرة.

❍**يشفعُ الشُفعاء، ويشفع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وَسلَم**، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن اللهَ يُخرجُ قومًا مِنْ النار بشفاعةِ محمدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواهُ أبو داود والترمذي وابنُ ماجة، وصححهُ الألباني.

❍**وأعظمُ مِنْ هذا أن جماعةً منهم يخرجونَ برحمة اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

➤جاء فِي صحيحِ مُسلم أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها، فلا يموتونَ فيها، ولا يحيون»، ها دول مَنْ؟ الكُفار والمنافقون. «ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبِهم، فأماتهم اللهُ إماتة، حتىٰ إذا كانوا فحمًا، أذنَ بالشفاعة، فجيءَ بهم ضَبائِرَ ضَبائِر» يعني مجموعات، «فبثوا علىٰ أنهارِ الجنة، ثم قِيل: يا أهلَ الجنة أفيضوا عليهم» فأذنَ الله لهم أن يُفيضوا عليهم مِنْ الماء، «فينبتونَ نباتَ الحِبةِ تكونُ فِي حَميل السَيل».

➤وَفِي الصحيحين، قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنة، وأهلُ النارِ النار، ثم يقولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أخرجوا مَنْ كان فِي قلبهِ مِثقالُ حَبةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ إيمان».

➤وَفِي حديثٍ طويل عند مُسلم، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: شفعت الملائكة، وشفعَ النبيون، وشفعَ المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين، فيقبضُ قبضةً مِنْ النار، فيُخرجُ منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط»، يعني لم يعملوا خيرًا قط، يزيد على حقيقة الإيمان، وإلا غير المُصلي ما هو مؤمن، وسيأتينا إنْ شَاءَ اللهُ، ولا يخرج مِنْ النار أبدًا. لكن كان مُصليًا، مؤمنًا مُصليًا، ولم يزد على ذلك. غيرَ مُنكر وغير جاحد، فاستحقَ دخول النار. فيُخرج الله هؤلاء.

والنصوص يُجمعُ بعضُها مع بعض، ولا يُضربُ بعضُها ببعض.

«قد عادوا حِممًا، فيُلقيهم فِي نهرٍ فِي أفواه الجنة يُقالُ له نَهرُ الحياة، فيخرجونَ كَمَا تخرجُ الحِبةُ فِي حَميل السَيل».

كُلُّ هذا مِنْ أصول السُّنّة، ويؤمنُ به أَهْلُ السُّنَّةِ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَالْإِيمَانُ بِأَن الْمَسِيحَ الدَّجَّال خَارِج، مَكْتُوبٌ بَين عَيْنَيْهِ كَافِر، وَالْأَحَادِيث الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَن ذَلِك كَائِن.

(الشرح)

لما ذكرَ الأصولَ المُتعلقة بيوم القيامة، ذكرَ الأصلَ أو أصلين مُتعلقين بعلامةِ قيام الساعة؛ فإنَ وقتَ قيام الساعة لا يعلمهُ أحد إلا الله، لكنَ اللهَ جعلَ لذلكَ علامات، ومن أظهرِ العلامات الكُبرى علامتان ذكرهما الإمام هنا.

فمن الأصول التي جاءت بها السُّنّة، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ اعتقادُها: الإيمانُ أن المسيحَ الدجال يخرجُ فِي آخر الزمان.

والمسيح هنا بمعنى الأشد ضلالًا فِي (المسيح الدجال) بمعنى: الأشد ضلالًا. (الدجال) الأشد كذبًا. فهو الأشدُ ضلالًا والأشد كذبًا.

وهو يخرجُ فِي آخر الزمان فتنةً بما أعطاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آياتٍ أقدرهُ عَلَيْهَا ليجعلهُ فِتنة، ليسَ بقُدرته، وإنما اللهُ أقدرهُ ليجعلهُ فِتنة.

وجاء فِي صحيح مُسلم عن عِمران بن الحُصين رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه قال: سمعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما بين خلقِ آدمَ إلىٰ قيام الساعة خلقٌ أكبرُ مِنْ الدجال»، (ما) نافية هنا، يعني: ليسَ بين خلقِ آدمَ إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ مِنْ الدجال.

وَفِي روايةٍ لمُسلم: «أمرٌ أكبرُ مِنْ الدجال».

وَفِي صحيح البُخاري: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأنذركموه، وما مِنْ نبيٍّ إلا أنذرهُ قومهُ، لقد أنذرَ نوحٌ قومه» يعني كُل الأنبياء أنذروا، «ولكني أقولُ لكم فيهِ قولًا لم يقلهُ نبيٌّ لقومه، تعلمونَ أَنَّه أعور، وأن اللهَ ليسَ بأعور». هو يزعم أَنَّه الله، «تعلمون أَنَّه أعور، وأن الله ليسَ بأعور».

وَفِي الصحيحين: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ بُعثَ نبيٌّ إلا وأنذرَ أُمتهُ الأعورَ الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليسَ بأعور، وإن بينَ عينيهِ مكتوبٌ كافرٌ (ك –ا – ف – ر) يقرؤها كُلُّ مؤمن قارئٌ أو غيرُ قارئ»، وأهلُ السُّنّة والجماعة ما يشكون فِي هذا، ويؤمنونَ بهذا إيمانًا جازمًا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَن عِيسَىٰ ابْن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام يَنزِلُ فيقتلهُ بِبَابِ لُد.

(الشرح)

هذه العلامة الكُبرىٰ الثانية، أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ اعتقادُها: أن عيسىٰ عَلَيْهِ السلام سينزلُ فِي آخر الزمان، وذلكَ أن اليهودَ قبحهم الله، أرادوا قتلَ عيسى عَلَيْهِ السلام، فشُبهَ لهم، فقتلوا رَجُلًا ظنوهُ عيسى عَلَيْهِ السلام، وما قتلوهُ يقينا، ولكنَ اللهَ رفعهُ إلى السماء، بعدَ أن استوفى مُدتهُ الأولى فِي الأرض، وهذا معنى **(متوفيك)**: أي موفيكَ مُدةَ بقائكَ الأولى فِي الأرضِ، ثم سينزلُ عَلَيْهِ السلام فِي آخرِ الزمان.

واللهُ أشارَ إلى أن عيسى عَلَيْهِ السلام مِنْ علامات الساعة: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، وهذا فِي آخرِ الزمان.

➤وأخبرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عددٍ مِنْ الأحاديث بنزوله، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عيسىٰ عَلَيْهِ السلام يطلبُ الدجالَ» يعني الدجال تعظم فِتنته، ويمكث فِي الأرض أربعين، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع؛ كجُمُعَة، وسائرُ أيامهِ كسائرِ أيامِ النَّاس، ويجوبُ الأرضَ كُلَّها إلا مكةَ والمدينة، يعني فِي داخل حدود الحَرَم، وإلا خارج حدود الحَرَم سينزلُ فيه. ولذلك ينزل وراء أُحد، وراء جبل أُحد، وإن كانت الآن مِنْ المدينة، لكنها خارج حدود الحَرَم، بل جاءَ فِي الروايات أَنَّه يصعدُ على طرفِ أُحد وينظر إلى المسجد النبوي، ويقول: انظروا هذا القصرَ الأبلق، يعني هذا اللون الذي نراه، هذا قصرُ محمد، أو بيتُ محمد.

إذًا المقصود بالمدينة يا إخوة: الحَرَم، حدود الحَرَم التي سبق وتكلمنا عنها مرارًا، والمقصود بمكة حدود الحَرَم.

➤عيسى عَلَيْهِ السلام يطلبُ الدجال لأن الدجال يَفر إذا عرفَ وجودَ عيسى عَلَيْهِ السلام، فقد أخبرنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن عيسىٰ عَلَيْهِ السلام يَطلبُ الدجال حتىٰ يُدركهُ ببابِ لُد فيقتله»، وهذا عند مُسلم فِي الصحيح.

➤وروى ابنُ حبان أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقتلُ ابنُ مريمَ الدجالَ ببابِ لُد».

وباب لُد فِي فلسطين، قريب مِنْ القُدس.

❍إذًا نبيُ اللهِ عيسى عَلَيْهِ السلام ينزلُ قبلَ قيامِ الساعة، لكنه لا ينزلُ نبيًا، وإنما هو نبيُ الله عيسى عَلَيْهِ السلام، ولكن يَحكمُ بشريعةِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عَلَيْهِ السلام مِنْ أتباعِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك يُلغز بعض العلماء بهذا، فيقول: مؤمنٌ متابعٌ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل مِنْ أبي بكر؟

المؤمن المتابع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأفضل مِنْ أبي بكر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، هو عيسى عَلَيْهِ السلام عند نزوله؛ لأنه نبيٌّ.

وسبحان الله قضى الله أن يقتلَ مسيحُ الحَقِّ مسيح الضلالة. قضى الله أن يقتلَ مسيحُ الحَقّ الذي هو عيسى عَلَيْهِ السلام، مسيح الضلالة الذي هو المسيح الدجال.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعمل، يَزِيدُ وَينْقص، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَر: «أكملُ الْمُؤمنِينَ إِيمَانًا أحْسنهم خُلقًا».

«وَمَنْ تَركَ الصَّلَاةَ فقد كفر»، وَلَيْسَ من الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَركهُ كُفر إِلَّا الصَّلَاة مَنْ تَركهَا فَهُوَ كَافِر وَقد أَحلَ اللهُ قَتله.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ولا يكونُ الإنسانُ سُنيًّا إلا إذا أتى بها، ويجبُ اعتقادُها: أن الإيمانَ قولٌ وعمل.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ أئمتهم قد اختلفت ألفاظهم فِي التعبيرِ عن هذا، لكن المقصودَ واحد، والمعنى واحد، فالإيمانُ عند أَهْلُ السُّنَّة: نُطقٌ مع القُدرة، لَا بُدَّ أن ينطقَ بالشهادتين إذا كان قادرًا على ذلك، وإلا ما يكون مؤمن، ولو فعل ما فعل، ما دام أَنَّه لم ينطق لسانه: بأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن محمدًا رَسُول الله، وهو قادرٌ على ذلك؛ فليس بمؤمن.

وأن الإيمانَ اعتقادٌ جازم ليس فيه شك، وأن الإيمانَ عملٌ ظاهرٌ مُصدق، وكُلُّها مِنْ حقيقة الإيمان، لا يُغني واحدٌ عن واحد، فَمَنْ لم ينطق مع القُدرة فليسَ بمؤمن، وَمَنْ نطقَ ولم يعتقد فليسَ بمؤمن؛

كالمنافقين الذين كانوا فِي زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينطقونَ ويُصلون مع الصحابة، وإن كانت الصَّلَاةُ ثقيلةً عليهم، لكنهم لا يعتقدون، بل يعتقدونَ الكُفرَ.

وَمَنْ نطقَ واعتقدَ؛ لأنه أبى أن يعملَ، ما عملَ عملًا صالحًا أبدًا، فليس بمؤمن، وإلا لو لم نقل بذلك لبطلَ تعريفُ أَهْل السُّنَّة للإيمان، وهذا محلُ إجماع.

وَمَنْ تأولَ فِي أعمال الجوارح ممَن عُرفَ بالسُنّة، يُخطأُ فيما ذهبَ إليه، لكن يُعذر؛ لأنه إنما ذهبَ إلى ما ذهبَ إليه بالدليل، ظَنَ أن الدليلَ يدلُ على هذا، ما ساقَ أصولًا فاسدة، وإنما ساقَ أدلة ظنها تدل على ذلك، نحنُ نعلم ونجزم أَنَّه مُخطئ، ولكنا نعذره ونعرفُ له فضله، هذه طريقة أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

وَأَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة متفقون على أَنَّه لَا بُدَّ للإيمانِ مِنْ عملٍ ظاهرٍ واجبٍ يُتقربُ به إلى الله ليُصدقَ الإيمان. لَا بُدَّ مِنْ عملٍ صالحٍ ظاهرٍ واجبٍ يُتقربُ به إلى الله ليُصدق الإيمان. فلابد فِي العمل مِنْ أن يكونَ ظاهرًا واجبًا يُتقربُ به إلى الله؛ لأني سمعت مِنْ بعضهم يقول: مُحال أن يعيش الإنسان ولا يمسح على رأسِ يتيم. هذا بحد ذاته ليسَ قُربة، وهذا أيضًا ليس واجبًا.

ثم اختلفَ أَهْلُ السُّنَّةِ هل هذا العملُ مُعين؟ ما يصدق الإيمان إلا بهِ؟ أو هذا العمل مُطلق؟ فمن أتى بعملٍ صالحٍ واجبٍ يتقربُ به إلى الله، فقد صدقَ إيمانه.

الإمام أحمد وجماعة مِنْ العلماء يرونَ أَنَّه عملٌ مُعينٌ بذاتِهِ وهو الصَّلَاة.

فَمَنْ أتى بالصلاةِ فقد صدقَ إيمانه، وَمَنْ لم يأتِ بالصلاة فإيمانهُ كذبٌ ولو صامَ، ولو تصدقَ، ولو حجَ، ولو فعلَ ما فعل، ما دام أَنَّه لم يأتِ بالصلاة.

وهذا هو الأرجحُ عِندي واللهُ أَعْلَمُ، وهو الذي أعتقده: أن العملَ الذي يُصدقُ الإيمان مُعين، وهو الصَّلَاة، فلا يكونُ مُؤمنًا إلا مَنْ صلى بعدَ العِلمِ والقُدرة.

◄ لَا بُدَّ مِنْ العِلم، لو فرضنا يا إخوة أن أحدًا أسلمَ فِي بلد بعيد، وجد أوراقًا قرأها، اعتقدَ الإسلام، ونطق وقال: أشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن محمدًا رَسُول الله، لكن ما علمهُ أحد، فمات. هذا ما يدخل عِندنا فِي قولنا: إنه ليس مؤمنا؛ لأن هذا مُنتهى قُدرته.

◄ أو مثلًا: أسلمَ بعدَ الفجر، وعَلِم بأن الصَّلَاة واجبة، وعزم على أن يُصلي الظُهر، فماتَ قبل الظُهر، ما قَدِر.

امرأة فِي الأمارات عجوز، أسلمت وبعد ثلاث ساعات ماتت. هذا ما نقول إنه ليسَ مؤمنًا، لكن مَنْ علمَ وتمكنَ فلم يُصلي فليسَ بمؤمن، ما صدقَ إيمانهُ.

والجمهور مِنْ العلماء يرونَ: أن العملَ المُصدقَ للإيمان ليسَ مُعين، فلو أَنَّه مثلًا: ما صلى، لكن صام، كان يصوم رمضان تقربًا، لكن ما يُصلي، وهذا موجود فِي بعض المسلمين، أعني: إذا قُلت المسلمين، العجيب إن بعض النَّاس يعني يتتبع الألفاظ بطريقةٍ عجيبة، يعني مُغرضة، يقولون: يقول المسلمون فِي المُشركين.

إذا قلنا: بعض المسلمين، إذا قلنا المُسلمون، نعني: مَنْ ينتسب إلى الإسلام، وقد يكون عندنا مُسلمًا، وقد يكون عندنا مُشركًا.

فبعض الذين ينتسبون إلى الإسلام، قد يصومون، يُحافظون على الصوم، لكن ما يُصلون.

أنا عِندي هذا ليس مؤمنًا، عِندي أن هذا كافر. لكن عند جمهور العلماء هذا مؤمن؛ لأنه أتى بعملٍ واجبٍ ظاهرٍ مُصدق.

وقد رجحتُ أن ترك الصَّلَاة كُفر، وهذا الذي ذكره الإمام أحمد، وهذا عَلَيْهِ أدلة كثيرة، ذكرتها فِي شروحي الكثيرة المُتعددة، وآخرها فِي شرحنا لكتاب الكبائر للذهبي، فيُرجعُ إليها.

مِنْ عقيدةِ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فِي الإيمان: أَنَّه يزيدُ وينقص، يزيدُ بالطاعات، وينقصُ بالمعاصي، وهذا محلُ إجماع عند أئمةِ أَهْل السُّنَّة.

الإمام مالك كان يعتقدُ هذا بلا شك، لكن جاءت عنه روايتان:

- كان يقول: إن الإيمان يزيد.

- لكن جاءت عنه روايتان فِي جملة (ينقص).

فجاءت عنه رواية أَنَّه كان يقول: (يزيد) ويسكت، ما يقول: ما ينقص. يسكت، تورعًا لأن الزيادة جاءت نصًا، لكن كُل عاقل فِي الدنيا يُدرك أن الذي يزيد ينقص.

وجاءت عنه رواية أُخرى صحيحة صريحة أَنَّه يقول: (يزيد وينقص).

إذًا نقول: لا خلافَ بين أئمةِ أَهْلِ السُّنَّة فِي أن الإيمان يزيدُ وينقص، ولا خلافَ بينهم فِي قولِ: (يزيد)، وأكثرهم على التصريحِ (وينقص). والإمامُ مالك عنه روايتان، والروايةُ بقولهِ: (يزيد وينقص) صحيحةٌ صريحة، فقد نصَ نصًا على أَنَّه يزيد وينقص.

الرواية الأُخرى سكت فيها عن (وينقص). أما هذه الرواية صرحَ فيها بـ (وينقص) فتُقدم على تِلكَ الرواية.

ومن لطيفِ فقه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أَنَّه استدلَ بقولِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقا» رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو صحيح، وذلك أن هذا الحديث يدل على أنَ الأعمال مِنْ الإيمان، وعلى أن الإيمان يكمل وينقص؛ فهذا دليلٌ على الطرفين، على أن الأعمال مِنْ الإيمان، وعلى أن الإيمانَ يزيدُ وينقص.

(المتن)

قال رحمة الله عَلَيْه: وخيرُ هَذِه الأُمةِ بعد نبيها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بكر الصّديق، ثمَّ عمر بن الْخطاب، ثمَّ عُثْمَان بن عَفَّان، ويقدمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة كَمَا قدمهم أَصْحَابُ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم لم يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِك، ثمَّ بعد هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة أَصْحَابُ الشُّورىٰ الْخَمْسَة: عَليُ بن أبي طَالب وطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وعبد الرحمن بن عَوْف وَسَعدُ بن أبي وقاص، وَكُلُّهم يَصلحُ للخلافة، وَكُلُّهُمْ إِمَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيُذْهَبُ فِي ذَلِك إِلَىٰ حَدِيث ابْن عمر رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا: (كُنَّا نعدُ وَرَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم حَيّ وَأَصْحَابهُ مُتوافرون: أَبُو بَكرٍ، ثمَّ عُمرُ، ثمَّ عُثْمَان، ثمَّ نسكت).

ثمَّ من بعد أَصْحَابِ الشُّورىٰ، أهلُ بَدرٍ من الْمُهَاجِرين، ثمَّ أهلُ بَدرٍ من الْأَنْصَار من أَصْحَاب رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم علىٰ قدرِ الْهِجْرَة والسابقة أَولًا فأول.

ثمَّ أفضلُ النَّاسِ بعد هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم الْقرنُ الَّذِي بُعث فِيهِم.

(الشرح)

يعني هنا فقط أُنبه على قضية: فِي قولهِ: ثمَّ أفضلُ النَّاسِ بعد هَؤُلَاءِ.

-لكَ أن تقول: (أَصْحَابُ) أي أصحابُ رَسُول الله بعد الذين تقدمَ ذِكرهم.

-ولكَ أن تقول: (أصْحَابِ). بعدَ هؤلاءِ أصحابِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القرنُ الذي بُعِثَ فيهم.

وكلا الوجهين صحيح.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ثمَّ أفضلُ النَّاسِ بعد هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم الْقرنُ الَّذِي بُعثَ فِيهِم، كُلُّ مَنْ صَحبهُ سنةً أَو شهرًا أَو يَوْمًا أَو سَاعَةً، أو رَآهُ مؤمنًا به؛ فَهُوَ من أَصْحَابه لَهُ الصُّحْبَةِ علىٰ قَدرِ مَا صَحبه، وَكَانَت سابقتهُ مَعَه، وَسمعَ مِنْهُ، وَنظر إِلَيْهِ نظرة، فأدناهم صُحْبَةً هو أفضلُ من الْقرنِ الَّذِي لم يروه وَلَو لقوا الله بِجَمِيعِ الْأَعْمَال؛ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذين صحبوا النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم ورأوهُ وسمعوا مِنْهُ، وَمَنْ رآهُ بعينهِ وآمنَ به ولو ساعةً؛ أفضلُ لصحبتهم من التَّابِعين وَلَو عمِلُوا كُلَّ أَعمال الْخَيْر.

(الشرح)

تقدمَ معنا فِي الأصل الأول: أن الصحابةَ هم المُقتدى بهم عند أَهْل السُّنَّة، ثم ذكرَ الشيخ هنا مِنْ أصولِ السُّنّة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ اعتقادُها: تفضيلُ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيرِهم.

فأفضلُ الأُمة بعدَ نبيها: هم صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابيُّ فِي باب التفضيلِ: هو كُلُّ مَنْ لقيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لحظةً مؤمنًا بِهِ، وماتَ على ذلك.

(كُلُّ مَنْ لقِيَ) هذا أفضل مِنْ قول بعض أهل العلم: كُلُّ مَنْ رأى. لأن قولنا: (كُلُّ مَنْ لَقِي) يدخل فيه الأعمى؛ فإن الأعمى يلقاهُ ولا يراه، وهو مِنْ الصحابة، فهذا أدق.

(كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لحظة مؤمنًا به) لو رآه لحظة، بعض الصحابة كانوا آمنوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم بعيدون عن المدينة، فمرَ بهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحج، فِي طريقهِ للحج فرأوه، ما دام اجتمعَ الإيمان واللُّقيا ولو لحظة، حصلت الصُحبة، فِي باب الفضيلة.

فهذا صحابيٌ، وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقدمَ على غيرِهِ وفاقَ غيرهُ. وأجمعَ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على أن الصحابة مع تفضيلهم على غيرِهم متفاوتونَ فِي الفضلِ، فكلهم فاضلٌ للفوزِ بصحبة

رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن بعضهم أفضلُ مِنْ بعض، مثل الرُسل يا إخوة كلهم فاضل، لكنَ بعضهم أفضل مِنْ بعض. القُرآنُ كُلهُ فاضل، لكنَ بعضهُ أفضل مِنْ بعض.

❐فالصحابة يتفاوتونَ فِي الفضل، فأفضل الصحابة أبو بكر، ثم عُمر، ثم عُثمان، وهذا أطبقَ عَلَيْهِ صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم بعضُ أَهْلُ السُّنَّةِ يسكتون، يسكتون اتباعًا للأثر، وبعضهم يزيدونَ عليًّا رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كان يلزمُ الأثر، فكان يقول: أفضل الأمة بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم يسكت.

لكن لا يعيبُ على مَنْ قال: ثم علي.

إذًا توقفهُ رَحِمَهُ اللهُ أو وقوفهُ رَحِمَهُ اللهُ ليس لعدم فضيلة علي رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وإنما اتباعًا للأثر، فقد قال ابنُ عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا: «كنا نقولُ ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: أفضلُ أُمة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده أبو بكرٍ، ثم عُمرُ، ثم عُثمان» رواه أبو داود وصححهُ الألباني.

وعند أحمد: «كُنا نعدُ ورسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ وأصحابهُ متواترون: أبو بكرٍ، وعُمرُ، وعثمان، ثم نسكت».

وقد وقعَ خلافٌ بين أَهْل السُّنَّة فِي الأفضل، هل الأفضل بعد عمر، علي ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين؟ أو عثمان ثم علي؟

يعني يا إخوة: اتفق أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على أنهم فِي استحقاق الخلافة على الترتيب: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

لكن فِي الفضيلة: اتفق أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على تقديم أبي بكر، ثم عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، ثم وقع اختلاف يسير، فأكثر أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقولون: ثم عثمان، ثم علي. وبعض أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة كانوا يقولون: ثم علي ثم عثمان.

وهذا الخلافُ قد اندثر، وأجمعَ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة على أن ترتيبهم فِي التفضيل كترتيبِهم فِي الخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ثم بعد هؤلاء الأربعة بقيةُ **المُبشرينَ بالجنة** الذينَ شهدَ لهم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فكانوا يسيرونَ فِي الأرض وَالنَّاسُ يعلمونَ أنهم مِنْ أهل الجنة. وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبو بكرٌ فِي الجنة، وعُمرُ فِي الجنة، وعُثمانُ فِي الجنة، وعليٌّ فِي الجنة**» هؤلاء الأربعة، «**وطلحةُ فِي الجنة، والزبيرُ فِي الجنة، وعبد الرحمن بن عوفٍ فِي الجنة، وسعدٌ فِي الجنة**» يعني ابن أبي وقاص، «**وسعيدٌ فِي الجنة، وأبو عُبيدةَ بنُ الجراحِ فِي الجنة**» رواهُ الخمسة، وصححهُ الألباني.

وأفضلُ العشرة بعدَ الثَّلَاثَة، وإن شئتَ قُل: بعدَ الاثنين، يعني بعد أبي بكرٍ وعمر: أهلُ الشورى الذين اختصهم عُمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وأرضاه: (عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزُبير بن العوام، وطلحة بن عُبيد الله) هؤلاءِ ستة، أفضلهم عثمان، ثم علي رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، ثم بقيةُ الأربعة؛ لأنهم مُبشرونَ بالجنة، واختصهم عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه بالأحقية بالخلافة، وجعلَ الشورى بينهم.

ثم أهلُ بدرٍ؛ «**فإن اللهَ اطلعَ علىٰ أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»، وأهل بدر منهم مهاجرون ومنهم أنصار، والمهاجرونَ منهم أفضل مِنْ الأنصار.

المهاجرون مِنْ أهل بدر، أفضل مِنْ الأنصار، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أن المُهاجرين أسبقُ إيمانًا.

والوجه الثاني: أَنَّه فِي النصوص يُقدمُ المُهاجرونَ على الأنصار.

ثم التفضيل بين المهاجرين بحسب الهِجرة والسبق، نقول المهاجرون أفضل، ثم التفصيل بين المهاجرين بحسب الهجرة والسبق.

ثم أهلُ بيعة الرضوان الذينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ثم بقية الصحابة.

هذا ترتيبُ الصحابة فِي الفضل، وتفضيلهم لا شكَ فيه، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فقدمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السابقين الأولين، وقدمَ المهاجرينَ على الأنصار، ثم الفضلَ باتباعِهم بإحسان.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبوا أصحابي**».

فعن أبي سعيدٍ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوفٍ شيء، فسبهُ خالد رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وأرضاه، فقال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تسبوا أحدًا مِنْ أصحابي، فإن أحدكم لو أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما أدركَ مُدَ أحدهم ولا نصيفه» مُتفقٌ عَلَيْهِ، واللفظُ لمسلم.

فدلَ هذا على تفضيل الصحابة، نعم وقع خلاف، هل المُقدم أهل بدر أو أهل بيعة الرضوان؟ لكن فِي الجملة الترتيب كَمَا قدمناه.

ثم بعدَ الصحابة أهلُ القرن الأول؛ الذين أدركوا الصحابة وأدركوا قرنَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشرفوا بإدراك الصحابة، وشرفوا بأن كانوا فِي القرن الذي كان فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفقٌ عَلَيْهِ.

يعني إذا تعبتم اقتدوا بي، فأنا أكثركم تعبًا، الذي يُفكر ويتكلم أكثر تعبًا مِنْ الذي يسمع، وهذا التعب نرجو الله عَزَّ وَجَلَّ أن نجدهُ فِي ميزان الحسنات، وأن ينفعنا اللهُ به.

الطالب: أحسنَ الله إليكم، الجملة الأخيرة: (فأدناهم صُحبَةً هو أفضلُ مِنْ القرنِ الذي لم يروه)؟

الشيخ: نعم، قلنا: إن العلماء أَهْل السُّنَّة مُتفقون على أنَ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لحظة، سبقَ النَّاسَ أجمعين فِي الفضيلة، فأدنى الصحابة صُحبة الذي رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، لحظة؛ هو أفضلُ مِنْ صالحي مَنْ بعده، ولو أتى الصالحُ بجميعِ أعمال البرِ؛ لأن وزنَ الصُحبةِ أثقل.

والصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم كانوا صالحين، وزادوا على النَّاسِ بفضل الصُحبة، وهذا يحكيه الإمام أحمد إجماعًا لأهل السنة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والسمعُ وَالطَّاعَةُ للأئمة، وأمير الْمُؤمِنِينَ الْبَرِ والفاجر، وَمَنْ ولي الْخلَافَة وَاجْتمعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَرَضوا بِهِ، وَمَنْ خرجَ عَلَيْهِم بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ صَارَ خَليفَة وَسُمي أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ.

(الشرح)

يعني مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وماتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، واعتقدها أَهْل السُّنَّة وأجمعوا عَلَيْهَا، وأوجبوا اعتقادها، وميزتهم عن أهل الأهواء: الأصلُ المُتعلقُ بطاعةِ ولي الأمر.

وهذا الأصل يا إخوة مِنْ أوضح الأصول التي تُميز أَهْل السُّنَّة عن أهل البِدعة فِي زمانِنا، مِنْ أوضح الأصول التي تلحظها وتُميز بها أَهْل السُّنَّة: **الموقف مِنْ ولي الأمر المُسلم.**

مِنْ حقوقِ ولي الأمر، بل هو أظهرُ حقوقه: السمعُ والطاعةُ له فِي غيرِ معصية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وانتبهوا يا إخوة، **السمع معناه:** إلقاء السمعِ والاهتمامُ بما يُقال.

والطاعة معناها: العملُ بما سُمع.

ليسَ كُلُّ مَنْ حُدِثَ سمعَ، فبعض النَّاس لا سمع ولا طاعة، ولا يهتمون بكلام الحاكم المُسلم، وبعضهم يسمعون ولا يهتمون. **وأصلُ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة السمعُ والطاعة؛ فيُلقي المُسلمُ سمعه لكلامِ حاكمِهِ المسلم، ويُطيعُ فِي غير معصية الله عَزَّ وَجَلَّ.**

➤انتبهوا يا إخوة، **ولي الأمر قد يأمرُ بواجبٍ شرعي،** كأن يأمر بالصيام فِي رمضان، فيُطاعُ، ويكونُ أمرهُ تأكيدًا للأمر الشرعي، وقد يأمرُ بتركِ مُحرمٍ دلت النصوص على تحريمه، فيُطاعُ ويكونُ نهيهُ تأكيدًا لنهي الشَّرْعِ.

➤وقد يأمرُ بفعل مُستحبٍ، كأن يأمر مثلًا: بإقامة التراويح فِي رمضان، فيُطاعُ، ويكونُ ذلك تأكيدًا لأمر الشَّرْعِ، لكنه لا يُخرجُ أمرَ الشَّرْعِ عن وصفهِ، فيبقى مُستحبًا.

➤وقد يأمرُ بترك مكروهٍ، فيُطاعُ.

➤وقد يأمرُ بفعل مُباحٍ، فيطاعُ.

➤وقد يأمرُ بفعل مكروهٍ، فيُطاعُ؛ لأنه ليس معصية.

➤وقد يأمرُ بتركِ مُستحبٍ، فيُطاعُ؛ لأنه ليس معصية. لو فرضنا جدلًا أن حاكمًا مِنْ حُكام المسلمين أمرَ بألا تُقام التراويح فِي المساجد، مَنْ شاء يُصلي فِي بيته، إقامة التراويح فِي المساجد مُستحبة، فإذا أمرَ ولي الأمر المسلم بترك المستحب، وجبَ أن يُطاع؛ لأن ترك المستحب ليسَ معصية.

➤وإن أمرَ بترك المُباحِ، لم يُحرمهُ، ولا يستطيع أن يُحرمه، لكن أمرَ بتركهِ. وفرق يا إخوة بين ترك المُباح، وبين تحريم المُباح. تعرفون هذا ولا ما تعرفون؟

الآن يا إخوة، هل أنتم تفعلون كُل مُباح؟ أبدًا، بل المشروع لكم التقليل مِنْ المُباحات، هناك مُباحات ما نفعلها أصلًا، لكن هل يجوز لنا أن نُحرمَ المُباح؟ ما يجوز.

إذًا تركُ المُباحِ ليسَ تحريمًا له، فكون ولي الأمر يأمر بترك المُباح، هذا ليسَ معصية؛ لأن بعض النَّاس يُطنطن الآن يقول: نهيهُ عن المُباح معصية؛ لأنه يُحرمه.

نقول: لَا شَكَّ أن التركَ لا يعني التحريم، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أرادَ عليٌّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أن يتزوجَ بنتَ أبي جهل على بنت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أما إني لا أُحلُّ الحرامَ، ولا أُحرمُ الحلالَ، ولكن والذي نفسي بيده، لا تجتمعُ ابنةُ عدو الله مع ابنتِ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فمنعَ عليًا رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، لكن بيّنَ أَنَّه لا يُحرم، فالمنعُ مِنْ المُباح ليسَ تحريمًا له.

إذًا متى لا يُسمعُ لولي الأمر؟

- إذا أمرَ بترك واجب؛ فلا سمعَ ولا طاعة فِي هذا.
- أو أمرَ بفعل معصية، فلا سمعَ ولا طاعة فِي هذا.

أولًا: انتبهوا يا إخوة، لا يوجد أحد مِنْ أَهْل السُّنَّة يقول: إن ولي الأمر المسلم يُطاعُ طاعةً مُطلقة. ما فِي أحد أبدًا، كلهم يُقيدون: (ما لم يأمر بمعصية).

هؤلاء الدجالون الكذابون الذين يكذبون على أَهْل السُّنَّة ويقولون: أهل الطاعة المُطلقة، كذابون. أَهْلُ السُّنَّةِ جميعًا متفقون على أن السمعَ والطاعة فِي غيرِ معصية الله، والذي قال هذا هو رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السمعُ والطاعةُ علىٰ الأمر المُسلم فيما أحبَ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمرَ بمعصية؛ فلا سمعَ ولا طاعة» أي فِي هذا الأمر، والحديث فِي الصحيح.

فأهلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة كُلُّهم يأمرونَ بالسمعِ والطاعةِ لولي الأمرِ فِي غيرِ معصية الله، حتى لو لم يكن مرضيًا، حتى لو كُنت تكرهه، ولذلك يا إخوة لـما جاء الواثق فِي فتنة خلق القُرآن، وقلنا إنه أشعل الفتنة، لكن سبحان الله صرفهُ الله عن الإمام أحمد، ما عذبَ الإمام أحمد لكن قال: لا تسكن فِي أرضٍ أنا فيها.

- جاء بعض النَّاس إلى بيت الإمام أحمد يشاورنهُ فِي الخروج عَلَيْهِ، على الواثق. وقالوا: إنا نخاف على عيالِنا، ونخاف ما يتوقف الأمر عند هذا الحَد، وهذا يفتن النَّاس فِي خلق القُرآن، وقد أمرَ بأن يُدرس الطُلاب، الأطفال فِي الكتاتيب القول بخلق القُرآن، نخاف على الدين، نخاف على أبنائنا.

قال لهم الإمام أحمد: لا تخرجوا، واصبروا، ونهاهم عن الخروج، وناصرهم ساعة، يقول لهم كلام أَهْل السُّنَّة، يُقيم عليهم الحُجة، خرجوا مِنْ عند الإمام أحمد وقالوا لحنبل ابن إسحاق؛ الذي الإمام أحمد

عمه: اذهب معنا إلى بيت فلان نُريد أن نعقد معه الأمر، مع ما قاله الإمام أحمد ما انزجروا، فذكرَ ذلك لأبيه إسحاق، فقال له: لا تذهب معهم، وتعايا عليهم فإني أخشى أن يكونَ للإمامِ أحمد ذِكرٌ. يعني أنت لو رحت معهم وأنت ابني، وأنا أخو الإمام أحمد، سيُقال: الإمام أحمد معهم وأرسلَ ابن أخيه. ويُذكر الإمام أحمد فِي هذه الفِتنة.

فانظروا يا إخوة كيف بُصُر أَهْلِ السُّنَّة، فتنة عظيمة وَالنَّاس يقولون: نخاف على ديننا، كيف لزمَ الإمام أحمد وهو الذي أُذي، وكان أبناؤه يرونَ أثر الضرب فِي ظهرِ إلى أن مات، ينهاهم عن الخروج ويُسكنهم ويأمرهم، ويخوفهم مِنْ عاقبة الخروج، ونحو هذا.

إذًا أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة يأمرون بالسمع والطاعة وإن الإنسانُ لا يُحب الإمام لأمرٍ منهُ.

ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وصيتهِ قال: والسمعُ والطاعة وإن تأمرَ عليكم عبد، لأن معروف أن الحُر لا يقبل أن يتأمر عَلَيْهِ عبد، يكره هذا، ومع ذلك قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السمع والطاعة**».

لكن مَنْ هو الأمير الذي يُسمعُ له ويُطاع؟

هو مَنْ وليَ الولايةَ العامة، ولو على بعض المسلمين، ولو بطريقٍ غيرِ مشروعٍ لكن استقرَ له الأمر. مَنْ وليَ الولاية العامة، إما أن يليها على جميع المسلمين، كولاية أبي بكر الصديق رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإما أن يليها على بعض المسلمين، ليسَ على كُل المسلمين، كَمَا هو فِي زمانِنا.

فإن وليَ الولايةَ العامة على بعض المسلمين؛ فإن له ما للخليفة العام، وعليه ما على الخليفة العام بالإجماع، وقد نقلَ هذا الإجماع جمعٌ مِنْ علماء السُّنّة.

قلنا: ولو بطريقٍ غيرِ مشروعٍ.

مثلًا: نحنُ نرى أن الديمقراطية ليست طريقًا مشروعًا للحكم، لكن لو وصل بطريق الديمقراطية واستقر له الأمر، أو خرجَ عليهم بالسيف واستقرَ له الأمر؛ فإنه يكونُ أميرًا.

➤**ولذلك قال الإمام هنا:** (وَمَنْ وليَ الخلافةَ واجتمعَ الناسُ عَلَيْهِ، ورضوا به، وَمَنْ ظهرَ عليهم بالسيفِ حتى صارَ خليفةً، وحتى سُميَ أميرَ المؤمنين).

☚وَفِي روايةٍ عنهُ: تكونُ الجُمُعَةُ مع مَنْ غلب، يعني يسير أمير المؤمنين.

☚ونقلَ يحيى بن يحيى مثلَ ذلك عن الإمام مالك، كَمَا فِي الاعتصام للشاطبي.

☚وروى البيهقيُ فِي مناقب الشافعي عن حرملةَ قال: سمعتُ الشافعيَ يقول: كان مَنْ غلبَ على الخلافةِ بالسيف حتى يُسمى خليفة، ويُجمعُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فهو خليفة.

وقال ابنُ حجر: أجمعَ الْفُقَهَاء على وجوبِ طاعةِ السلطان المُتغلب، والجهادِ معه، وأن طاعتهُ خيرٌ مِنْ الخروجِ عَلَيْهِ، لما فِي ذلكَ مِنْ حقن الدماء وتسكينِ الدهماء.

فهذا أمرٌ متفقٌ عَلَيْهِ بين أَهْل السُّنَّة، بل مُتفقٌ عَلَيْهِ بين الْفُقَهَاء كَمَا ذكرَ الحافظ بن حجر.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: والغزو مَاضٍ مَعَ الأُمراء إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة الْبَرِ والفَاجِر لَا يُتْرك، وَقِسْمَةُ الْفَيْءِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ إِلَىٰ الْأَئِمَّةِ مَاضٍ لَيْسَ لأحدٍ أَن يطعنَ عَلَيْهِم وَلَا يُنازعهم، وَدفعُ الصَّدقَاتِ إِلَيْهِم جَائِزَة ونَافِذَة، وَمَنْ دَفعهَا إِلَيْهِم أَجْزَأت عَنهُ بَرًا كَانَ أَو فَاجِرًا.

وَصَلَاةُ الْجُمُعَة خَلفهُ وَخلف كُلِّ مَنْ ولاهُ جَائِزَةٌ تَامَّة رَكْعَتَيْنِ، مَنْ أعادهما فَهُوَ مُبْتَدع تَارِكٌ للآثار مُخَالفٌ للسُنة، لَيْسَ لَهُ من فضلِ الْجُمُعَةِ شَيْء إِذا لم يرَ الصَّلَاةَ خلفَ الْأَئِمَّة كائنينَ مَنْ كَانُوا، بَرهم وفاجرهم، فَالسُّنةُ أَن يُصَلِّي مَعَهم رَكْعَتَيْنِ مَنْ أعادهما فهو مُبتدع، وَيَدينُ بِأَنَّهَا تَامَّة، ولَا يكن فِي صدرك مِنْ ذَلِك شَك.

(الشرح)

يعني مِنْ الأصول التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّة: عدمُ الإفتئاتِ على ولي الأمرِ فِي حقوقه، فتؤدى إليهِ حقوقهُ، ومن ذلكَ أنهم يرونَ أن الجهادَ ماضٍ مع الأُمراء بَرِهم وفاجِرهم، إلى يوم القيامة، والجهادُ منوطٌ بولي الأمرِ، وأن لولي الأمرِ قسمة الفيء، وأن هذا حقهُ، وأن إقامةَ الحدود إلى الأئمة، ليسَ لأحدٍ أن يُقيمَ الحدَ إلا تحتَ رايةِ ولي الأمر، فلا يُقيمُ الحد إلا وليُّ الأمر أو مَنْ فوضهُ ولي الأمر.

➤**حتى قال العلماء: لا يُقيمُ الإنسانُ الحدَ حتى على نفسهِ.**

➤**كذلك مِنْ حقهم دفع الزكواتِ إليهم إذا طلبوها، فإذا طلبوها تُدفعُ إليهم.**

➤**ومن حقِهم أن يُصلى خلفهم،** وتُصلى الجُمُعَة خلفهم، سواءً كانوا أبرارًا أو فُجارا، وسواءً كانوا على السُّنّة أو على البدعة، ما لم يكفروا.

وتركُ الصَّلَاةِ خلفَ أمة الجور بدعة. فالذين ما يُصلون بحجة أن الإمام جائر، أو مُبتدع، فهؤلاء وقعوا فِي البدعة؛ لأن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم كانوا يُصلونَ خلف الحجاج مع كونهِ فاجرًا، فمن تركَ الْجُمُعَة أو صلاة الجماعة لكون الإمام فاجرًا أو فاسقًا أو مُبتدعًا؛ فإنه لا يكونُ على السُّنّة، ولابد أن يطمئنَ القلبُ بهذا، وأن يعتقدَ أنها صلاة تامة، أما أن يُصلي مع الإمام ويُعيد فِي بيته، هذا خلاف السُّنّة، وخلاف عمل أَهْل السُّنَّة.

لعلنا نقفُ عند هذه النقطة.

بعدَ المغرب إِنْ شَاءَ اللهُ ننتقل إلى حلقة الشيخ عبد المحسن حفظهُ الله عَزَّ وَجَلَّ ونُتم الشرح هناك إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

باركَ اللهُ فِي الجميع، وكتبَ أجرَ الجميع، واللهُ أَعْلَمُ.

وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رَبِّ العالَمِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلىٰ آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أما بَعْد؛

❍ **فمرحبًا بالفضلاء؛** مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، مرحبًا بمن يطلبون العلم في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وبشارة لهم إن أخلصوا لله عَزَّ وجَلَّ وأحسنوا طريق طلب العلم، فطلبوه من أهله بالأجور العظيمة والمقامات الكريمة، فطلب العلم في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ترجىٰ أن تتنزل علىٰ أهله السكينة، وأن تغشاهم الرحمة، وأن تحفهم الملائكة، وأن يذكرهم الله في من عنده، وأن يعطيهم ما يرجون، وأن يؤمنهم مما يخافون، وأن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يكتب لهم أجر الحاج الذي تم حجه، وأن يكتب لهم أجر الجهاد في سبيل الله، كتب الله لنا هذا، وزادنا من فضله أضعاف، أضعاف.

معاشر الفضلاء؛ نواصل شرح الرسالة العظيمة، الشريفة المنيفة، النافعة، العظيمة الخيرات؛ رسالة الإمام أحمد-رحمه الله عَزَّ وجَلَّ في أصول السنة، فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

الحمد لله رَبِّ العالَمِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ علىٰ أشْرَفِ الأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أما بَعْد، اللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في رسالته أصول السنة: [وَمن خرج علىٰ إِمَام من أَئِمَّة الْمُسلمين وَقد كَانُوا اجْتَمعُوا عَلَيْهِ وأقروا لَهُ بالخلافة بِأَيّ وَجه كَانَ بِالرِّضَا أَو بالغلبة فقد شقّ هَذَا الْخَارِج عَصا الْمُسلمين وَخَالف الْآثَار عَن رَسُول الله فَإِن مَاتَ الْخَارِج عَلَيْهِ مَاتَ ميتَة جَاهِلِيَّة].

لما تقدم ذكر الإمام -رحمه الله عزَّ وجل- لأصل أهل السنة والجماعة الذي أجمعوا عليه، ومضت السنة به، واعتقدوه، وعملوا به، وأمروا باعتقاده في طاعة ولي الأمر المسلم في غير معصية الله عَزَّ وجَلَّ سواء ولي الخلافة العامة أو كان إمامًا علىٰ قطر من الأقطار، وسواء وصل إلىٰ الحكم بطريق مشروع أو بطريق ممنوع، ما دام أنه غلب وحكم، واستقر له الأمر، وتقدم -أيضًا- ذكر الإمام -رحمه الله عزَّ وجل- لأصل أهل السنة والجماعة الذي أجمعوا عليه، عقدوا القلوب عليه، وعملوا به من أن ولي الأمر المسلم لا يفتات عليه في حقوقه، فلا يمنع حقه، ولا يتقدم عليه في حقه، ولا يعمل عامل بحقه، إلا أن يفوضه في ذلك.

ذكر الإمام هنا أصل أهل السنة والجماعة الذي أجمعوا عليه، واعتقدوه، ولزموه، وأمروا به، والسنة منبعه وأصله، وقد مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عليها في تحريم الخروج على ولي الأمر المسلم، سواء كانت ولايته بطريق مشروع أو بطريق ممنوع، فمن اجتمعت عليه الكلمة حرُم تفرقتها، وشقها بالخروج عليه.

وإذا حرَّم الله شيئًا حرَّم مقدماته، فيحرم إذهاب هيبة ولي الأمر من نفوس الناس؛ لأن الناس إذا ذهبت هيبة ولي الأمر من نفوسهم أوشكوا أن يخرجوا عليه.

ولا شك أنه إذا ذهبت الهيبة جاءت الجرأة، وجرأ الناس على ولي الأمر بألسنتهم، وإذا جاءت الجرأة بالألسنة أوشك أن يقع الخروج بالأسنة والسلاح، ومما يحرم تهييج العامة على ولي الأمر المسلم، ومن أخبث الخوارج القعدة الذين يزينون للناس الخروج بألسنتهم، ولا يخرجون بسلاحهم؛ لكنهم وقودٌ لنار يسعر بها غيرهم، أما هم وأولياءهم، وأقرباءهم، فهم بعيدون عن هذه النار، هؤلاء القعدة الذين يجعلون في كلامهم سمًا زعافًا يقودوا إلى الخروج على ولي الأمر، من أخبث الخوارج ومن خرج على إمام المسلمين،

وشق صفهم، فهو من الخوارج، وهم من أضل المبتدعة؛ بل اختلف السلف في كفرهم، فذهب جماعة من السلف، ومن علمائنا المتأخرين إلى أنهم كفار، خارجون عن ملة الإسلام؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال: «يمْرُقُونَ مِن الإسلام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ».

وذهب جماعة من السلف، ومن علمائنا المتأخرين إلى أنهم من أقبح المبتدعة، ومن أضل المبتدعة لأمة الإسلام؛ لكنهم ليسوا كفارًا؛ ولكن يخشى عليهم الكفر، وهذا الذي أرى رجحانه.

ومن فارق الجماعة، وفارق ولي الأمر، فإنه يعيش عيشة الجاهلية على طريقة اهل الجاهلية لا على طريقة أهل الإسلام، فإن مات على ذلك غير تائب، فإنه يموت ميتة جاهلية.

لا شك أن جماعة المسلمين يجب حفظها، وحفظها من أعظم مقاصد الشريعة، ولن تقوم الجماعة ولن تحفظ إلا بالأمير، إلا بالإمام، ومن أضاع الإمام أضاع الجماعة.

فالواجب المتعين علىٰ المسلم: أن يصبر علىٰ ما يرىٰ، وأن ينكر بقلبه إن رأىٰ منكرًا، وإن استطاع أن ينكر باللسان بالطريقة المشروعة التي تحفظ هيبة ولي الأمر بأن ينكر عليه سرًا بأسلوب يناسب مقامه، ولا يذهب هيبته، فإنه يتعين عليه ذلك، فالنصح لولي الأمر من أعظم الفرائض؛ لكن بالأسلوب الشرعي، ولا يركب الإنسان أسلوب أهل البدع ليحقق النصيحة، فإن خرج الإنسان علىٰ ولي أمره المسلم، فإنه يكون قد خلع رمقة الإسلام من عنقه.

والرمقة -يا إخوة- هي: الحلقات التي تكون في حبل طويل، توضع في رؤوس البهم الصغير لتحفظه، فالسنة ولزوم الإمام رمقة يحفظ بها الإنسان، فإذا خرج على إمامه قلع هذه الرمقة، وضيَّع نفسه قبل أن يضيع غيره، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مبينًا المنهج المشروع، ومحذرًا من المنهج الممنوع: «مَن كَرِهَ مِن أَمِيرِهِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ، فإنَّه مَن خَرَجَ مِنَ السُّلْطانِ شِبْرًا ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»، متفق عليه.

من رأى من أميره شيئًا يكره من معاصي الله عَزَّ وجَلَّ دون الكفر، فليصبر، ولا ينزعن اليد من الطاعة، ولا يخرجن على ولي أمره، فإن من فارق السلطان شبرًا، والشبر مسافة قصيرة مات ميتة الجاهلية، وهذا يعني أنه حال مفارقته يعيش عيشة جاهلية، هذا إذا لم يُبعد، فكيف إذا أبعد.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَن خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وفارَقَ الجَماعَةَ فَماتَ، ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»، رواه مسلم في الصحيح.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَن رَأَىٰ مِن أَمِيرِهِ شيئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فإنَّه ليسَ أحَدٌ يُفارِقُ الجَماعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إلَّا ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»، رواه البخاري في الصحيح.

من رأى من أميره شيئًا، أي: رأى من أميره محرمًا.

فكرهه، أي: أن الواجب أن تكره الحرام، وأن تبغض الحرام، ما تحب الحرام؛ لأن الحاكم فعله، تكرهه، وتنكره بقلبك، وتبغضه إن فعلت ذلك وصبرت على ولي أمرك، ولم تخرج عليه فأنت على السنة، أما من فارق الجماعة شبرًا فمات، فإنه يموت ميتة جاهلية، أي: على طريقة الجاهلية.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَن خَلَع يدًا مِن طاعةٍ».

انتبهوا يا إخوة: يدًا نكرة في سياق الشرط، فتعم أي خلع، ولو كان يسيرًا، «مَن خَلَعَ يَدًا مِن طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَومَ القِيامَةِ لا حُجَّةَ له، وَمَن مَاتَ وَليسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، رواه مسلم في الصحيح.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَنْ فارَقَ الجَماعَةَ قِيدَ شِبْرٍ؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إلَّا أنْ يَرجِع»، رواه الخمسة وصححه الألباني.

فالله الله في هذا الأصل، تعلموه وافهمه، والزموه، ولا تلتفتوا إلى أقوال المخذلين ولا تشنيع المشنعين، فإن النجاة في السنة، وإن العزة في السنة، وإن الخير كله في السنة، ولا خير في شيء يخالف سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أو يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة.

قال -رحمه الله-: [وَلَا يحل قتال السُّلْطَان وَلَا الْخُرُوج عَلَيْهِ لأحد من النَّاس فَمن فعل ذَلِك فَهُوَ مُبْتَدع علىٰ غير السّنة وَالطَّرِيق].

يحرم الخروج على السلطان -كما تقدم- ويحرم قتاله مهما كانت المبررات، إلا أن يرى منه كفر بواح، ما يشك فيه أحد، ولا يختلف فيه الناس، وعندهم من الله فيه برهان؛ إذًا متصف بصفتين:

الصفة الأولى: أنه ما يشك فيه أحد، الكل يقول: هذا كفر.

الصفة الثانية: أن يقوم عليه البرهان.

والأمر الثالث: أن يكون للناس قدرة على تغييره من غير مفسدة أعظم من مفسدة بقاءه، فقط هذه الحالة، وما عدا ذلك مهما كانت المبررات، فقتال السلطان حرام، والخروج عليه بجميع أنواع الخروج حرام، يأتي من يقول: ما تنطبق عليه الشروط، نقول: هو أمير، هو حاكم، وإن كان عبدًا حبشيًا، ما دام أنه

عاقل، مسلم فله الولاية، فإن خرج على ولي الأمر المسلم بالسلاح، فكفَّر وخرج فإنه من أشر الناس، ومن أشر الْخَلِيْقَة.

والسلف قد اختلفوا فيه:

فمنهم من يقول: إنه كافر خرج من ملة الإسلام.

ومنهم من يقول: هو من شر الخليقة؛ لكنه لم يخرج عن ملة الإسلام، وهذا عندي أرجح؛ لفعل الصحابة رضوان الله عليهم في التعامل مع الخوارج، فإنهم ما تعاملوا معهم معاملة الكفار، ولا قاتلوهم قتال الكفار، قاتلوهم بلا شك؛ لكن ما قاتلوهم قتال الكفار؛ لكن لا شك أنهم من شر الخليقة، ومن أقبح المبتدعة، ومن أضر المبتدعة على الإسلام والسنة؛ ولذلك قال الشيخ: [ذَلِك فَهُوَ مُبْتَدع علىٰ غير السّنة وَالطَّرِيق]، هذا الذي عليه أكثر أهل السنة، وهذا لا يهون من شأن الخروج؛ بل شأن الخروج عظيم وفعل الخروج قبيح، وكما قلنا: هم من شر الخليقة، كما وصفهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

قال -رحمه الله-: [وقتال اللُّصُوص والخوارج جَائِز إِذا عرضوا للرجل فِي نَفسه وَمَاله فَلهُ أَن يُقَاتل عَن نفسه وَمَاله وَيدْفع عَنْهُمَا بِكُل مَا يقدر وَلَيْسَ لَهُ إِذا فارقوه أَو تَرَكُوهُ أَن يطلبهم وَلَا يتتبع آثَارهم لَيْسَ لأحد إِلَّا للْإِمَام أَو وُلَاة الْمُسلمين إِنَّمَا لَهُ أَن يدْفع عَن نَفسه فِي مقَامه ذَلِك وَيَنْوِي بِجهْدِهِ أَن لَا يقتل أحدًا فَإِن مَاتَ عَلَىٰ يَدَيْه فِي دَفعه عَن نَفسه فِي المعركة فأبعد الله الْمَقْتُول، وَإِن قتل هَذَا فِي تِلْكَ الْحَال وَهُوَ يدْفع عَن نفسه وَمَاله رَجَوْت لَهُ الشَّهَادَة كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيث وَجَمِيع الْآثَار فِي هَذَا إِنَّمَا أمرت بقتاله وَلم تَأمر بقتْله وَلَا اتِّبَاعه وَلَا يُجهز عَلَيْهِ إِن صرع وَإِن كَانَ طريحا وَإِن أَخذه أَسِيرًا فَلَيْسَ لَهُ أَن يقْتله وَلَا أَن يُقيم عَلَيْهِ الْحَد وَلَكِن يرفع أمره إِلَىٰ من ولاه الله فَيحكم فِيهِ]. **هذا من أصول السنة، ومما أجمع عليه أهل السنة، أعني: قتال اللصوص والخوارج.**

من هم اللصوص هنا؟

اللصوص هنا هم الذين يريدون أخذ مال الإنسان بغير حق، سواء كانوا سرَّاقًا فيأخذون خفية، فدخل البيت خفية ليسرق فرآه، أو الذين يأخذون المال قهرًا بالسلاح والقوة، فيغتصبون الأموال، هؤلاء كلهم لصوص، والخارجي هنا: يأتي يريد قتل المسلم؛ لأن الخوارج يستحلون قتل من يخالفهم ولو كان

فردًا، لو ما قاتلهم يستحلون قتله، وهاهم خوارج العصر في كل بلد يقتِّلون من أهل السنة، وأحسن وقت عندهم هو وقت الذهاب إلى الصلاة، وهذه سنة الخوارج يترصدون لمن يخالفونهم في وقت الصلاة، فأحب الأوقات إليهم لقتل أهل السنة عند الخروج إلى الصلاة -قبَّحهم الله-.

وعندنا هنا مسألتان:

المسألة الأولى: مسألة دفع الصائل: اللص إذا جاء يريد أخذ مال المسلم، والخارجي إذا جاء يريد أن يقتل المسلم بعينه، فإن المشروع للمسلم أن يدفع عن ماله، وأن يدفع عن نفسه، فإن اندفع هذا الصائل بالكلام لم يجز أن يزاد على ذلك، وإن اندفع بالضرب لم يجز أن يدفع بأعلى من ذلك، وإن اندفع بالجرح لم يجز أن يدفع بأكثر من ذلك، ولو جرِح فلا يجوز الإجهاز عليه، ولو قُبِض على الصائل سواء كان لصًا يريد المال أو خارجيًا يريد النفس أو غير الخارجي يريد النفس إذا قُبض عليه فلا يجوز أن يجتمع عليه الناس ويقتلوه؛ بل الواجب أن يرفع إلى ولي الأمر أو الجهة المختصة، وهي التي تعامله وتتصرف في أمره.

الآن نسمع عن بعض الناس أنهم إذا وجدوا لصًا في بيت اجتمعوا عليه وضربوه وسحلوه ولربما قتلوه، ربما يعلقونه في سيارة ويجرونه، هذا ما يجوز.

إذا تُمكن منه جريحًا أو غير جريح فلا يجوز أن يقتل، ولا يجوز أن يضرب -أيضًا-، وإنما يرفع أمره إلى الجهة المختصة لتتصرف في حقه، فإن لم يندفع إلا بقتله أو قتاله جاز قتاله، فإن قتل اللص أو الخارجي المصول عليه، فهو شهيد؛ لكن لا نحكم له بعينه أنه شهيد، نرجو له الشهادة، وإن قتل المصول عليه اللص أو الخارجي أو من يريد نفسه فذاك المقتول في النار، والقاتل لا شيء عليه؛ بل دم اللص والخارجي هدر.

جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: «جاءَ رَجُلٌ إلىٰ رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ إنْ جاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أخْذَ مالِي؟ قالَ: فلا تُعْطِهِ مالَكَ»، اي: امنعه، وادفعه بما تستطيع، واتفق العلماء: على أنه يدفع بالأدنى، فإن لم يندفع بالأعلى حتى يصل الأمر إلى القتال؛ ولذلك قال الرجل: «أرَأَيْتَ إنْ جاءَ»، أرأيت إن دفعته فأبى وأراد أن يقاتلني، قال: «قاتِلْهُ»، فأذن في قتاله، قال: «قالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قالَ: فأنْتَ شَهِيدٌ، قالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قالَ: هو في النَّارِ»، رواه مسلم.

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال هو في النار؛ ولذلك الشيخ قال: أبعد الله الأخر، الإمام أحمد قال هذا؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال: «هُو فِي النَّار»، **هذا الأمر الأول: دفع الصائل.**

والأمر الثاني: قتال الخوارج تحت راية ولي الأمر، وهذا من الجهاد المشروع، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنه لو أدركهم لقتله، أي: لقاتلهم حتى يقتله، وأمر بقتالهم حيث ما لقيناهم، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ حُدَثاءُ الأسْنانِ، سُفَهاءُ الأحْلامِ»، وهذا الغالب عليهم: صغر السن، وسفه الحلم، وقلة العلم، وقد يوجد منهم كبير في سنه سفيه في رأيه، قليل في علمه، قال: «يَقولون مِن خيرِ قولِ البَرِيَّةِ»، أي أن عندما تستمع لهم يذكرون القرآن والسنة، حتى ربما ظن الجاهل بهم أنهم من علماء السنة؛ لكن يوردون الأدلة يظنونها لهم وهي عليهم، قال: «لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فأيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ في قَتْلِهِمْ أجْرًا لِمَن قَتَلَهُمْ يَومَ القِيامَةِ».

انتبهوا: فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة، في هذا أمران:

الأمر الأول: أن في قتلهم أجرًا عظيمًا.

الأمر الثاني: أن هذا الأجر يحفظ حتى يجده الإنسان يوم القيامة.

بعض الأعمال الصالحة قد يعملها المؤمن ولا يحفظ أجرها، لأسباب؛ أما قتل الخوارج فهو: أجر يحفظ؛ حتى يجده العبد يوم القيامة، وهذا الحديث في الصحيحين متفق عليه.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «لَئِنْ أنا أَدْرَكْتُهُم لَأَقْتُلَنَّهُم قتلَ عادٍ»، متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «لَأَقْتُلَنَّهُم قتل ثَمُود»، أي لا أبقي منهم أحدًا، والحديث في الصحيحين، فلا يتورع عن قتال الخوارج تحت راية ولي الأمر؛ بل أجمع أهل السنة والجماعة على ان الخوارج يقاتلون مع ولي الأمر المسلم؛ لكن كما قدمنا: قتالهم ليس كقتال الكفار، فمن جُرج منهم لا يجهز عليه، ومن فر منهم لا يتبع، ومن قبض عليه منهم، فإنه يرفع لولي الأمر، فينظر فيه بحسب الحكم الشرعي، ويحكم عليه بحسب الحكم الشرعي؛ ولذلك قال الإمام: [وَلَكِن يرفع أمره إِلَىٰ من ولاه الله فَيحكم فِيهِ].

وليس من الورع السكوت عن الخوارج، فبعض الناس يقول: يا أخي أنا أتورع، ما أتكلم في الخوارج، ما أتكلم في هؤلاء الذين يهيجون الناس على ولي الأمر، وعُرف من شأنهم وديدنهم أنهم إنما

يريدون تنفير الناس من ولي الأمر، بعض الناس يقول: أنا أتورع ليس هذا من الورع في شيء؛ بل السنة: أن تتكلم فيهم بما لا يضرك، وأن تكشف فكرهم، وما يريدون أن يقودوا الناس إليه، فتركهم تغرير بالمسلمين، وغش للمسلمين، والكلام فيهم نصيحة للمسلمين، وحفظ للمسلمين.

قال -رحمه الله-: [وَلَا نشْهد علىٰ أحد من أهل الْقبْلَة بِعَمَل يعمله بجنة وَلَا نَار نرجو للصالح ونخاف علىٰ الْمُسِيء المذنب وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَة الله].

من أصول السنة التي جاءت بها السنة، ومات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عليها، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة واعتقدوها أن الإنسان في الدنيا يعامل بما يظهره، فمن أظهر الإسلام عاملناه الإسلام، مع أنه ممكن أن يكون منافقًا؛ لكن نعامله بالظاهر، وإذا مات نعامله معاملة المسلم، ومن أظهر الكفر عاملناه بهذا الظاهر، فحكما عليه بالكفر، وعاملناه معاملة الكفار، وإذا مات فإنا لا نصلي عليه، ولا ندفنه في مقابر المسلمين، ولا نستغفر له، مع أنه يمكن أن يكون قد أسلم قبل أن يموت؛ لكنا في الدنيا نعامله بالظاهر بالإجماع.

ومن لم يؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فإنا في الدنيا نحكم عليه بالكفر، ونعامله معاملة الكافر من غير نظر إلى كونه سمع بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أو لم يسمع، ما دام أنه بعد بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لم يؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فهو كافر، ونحكم عليه بالكفر، ونعامله معاملة الكفار، وإذا مات لا نصلي عليه ولا ندفنه في مقابر المسلمين، هذا في الدنيا.

أما في الآخرة: فنشهد للمعين بالجنة إذا شهد له النص بالجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة نشهد لهم بالجنة؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ شهد لهم بالجنة، ونشهد للمعين بالنار إذا شهد له النص بالنار، فنقول:

أبو لهب في جهنم خالدٌ مخلدٌ فيها، وأبو طالب في جهنم خالدٌ مخلدٌ فيها؛ لأن أبا لهب شهِد القرآن أنه النار، وأبا طالب شهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنه في النار.

وأما من لم يشهد له النص بعينه بجنة أو نار فلا نشهد لمن كان ظاهره الإيمان، أي كان من أهل القبلة أنه في الجنة بعينه؛ لكن نرجو له؛ لأنا لا نعلم حقيقته، ألم يكن هناكم رجال يعيشون مع الصحابة في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وهم منافقون؟! ظاهرهم الإسلام وباطنهم الكفر، فنحن لا نعرف حقيقة حاله، فلا نشهد له بالجنة؛ لكن نرجو له.

وقد يوافي أيضًا بكبيرة، ويشاء الله عَزَّ وجَلَّ أن يعذبه بها، ولا نشهد له بالنار بعينه وإن ارتكب الكبائر المتوعد عليها بالنار مع توحيده، أي: رجل ما عُرف بالشرك؛ لكن -والعياذ بالله- يزني ويشرب الخمر ومدمن على هذا، فإنا لا نشهد له بعينه بالنار؛ لكن نخاف عليه.

لماذا لا نشهد له بالنار مع أنه يرتكب ما توعد عليه بالنار؟

نقول: لأنه قد يلقى الله بالتوحيد فيعفو عنه، وقد يتوب قبل أن يموت ولا نعلم، ومن تاب: تاب الله عليه، ولا نشهد لمن ظاهره الكفر بالنار يقينًا؛ لكن نقول: من مات كافرًا فهو في النار؛ لأن ما نعلم مات عليه، فقد يموت على الإسلام، فكم من شخص عاش على الكفر حتى إذا اقترب أجله سبق عليه الكتاب، فأسلم، ولربما مات بعد إسلامه بلحظات، وعبارات أهل السنة كلها فيها هذا:

أن الذي أظهر الكفر لا نشهد له بالنار بعينه؛ لكن نشهد له بوصفه، فنقول: من وافى كافرًا فهو في النار، هذا الذي رأيته في كلام أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، ومن مشايخنا الكبار؛ لكن الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- وهو من العلماء الكبار قال: يحكم عليه بالنار بعينه.

من مات وظاهره الكفر يحكم عليه بالنار بعينه، وقال: إن كلام أهل السنة ككلام الإمام أحمد هنا إنما هو في أهل القبلة.

ومن حجة هذا القول: ما جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «أنَّ أعرابيًا قال: يا رسولَ اللهِ إنَّ أبي كان يصلُ الرحمَ»، وكان، وكان؛ يمدحه، وقد كان مات على الكفر، «فأينَ هوَ؟ فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: في النارِ، فكأنَّه الأعرابيَّ وجدَ مِنْ ذلك»، أي السائل، «فقالَ يا رسولَ اللهِ فأينَ أبوكَ؟» قال هذا من شدة ما وجد، ولذلك قال: «فكأنَّه وجدَ مِنْ ذلك، فقالَ يا رسولَ اللهِ فأينَ أبوكَ؟ فَقال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: حيثُ ما مررت بقبرِ كافرٍ فبشِّرْهُ بالنارِ، قَال: فَأَسْلَم الأَعْرَابِي بَعد، وقال: لقدْ كلَّفَني رسولُ

اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّمَ تعبًا»، أتعبني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، لم؟ قال: «ما مررتُ بقبرِ كافرٍ إلا بشرتُهُ بالنارِ»، كل ما مر على قبر كافر بشره بالنار، والحديث رواه ابن ماجه، وفي إسناده ضعف؛ لكن قواه وصححه الإمام الألباني -رحمه الله.

ووجه الدلالة ظاهر: «حيثُ ما مررتَ بقبرِ كافرٍ فبشِّرْهُ بالنارِ»، هذا حكم عليه بالنار بعينه.

والظاهر لي -والله أعلم: أن من حكم عليه بالنار بعينه لظاهر حاله وأن الظاهر أنه مات من الكفر فلا حرج عليه.

أما حقيقة حاله: فالله أعلم بها.

فهذا حكم بالظاهر، رجل عاش على الكفر، ومات على الكفر، وما علمنا أنه أسلم، وما جاءنا ما يدل على أنه أسلم، فحكم عليه الحاكم -أعني الرجل الذي يحكم- بأنه في النار لظاهر الحال لا حرج عليه، ولا يكون فعل منكرًا، وأما احتمال أنه قد أسلم، فهذا إلى الله، فإن كان أسلم لم يضره قول القائل إنه في النار، وإن لم يحكم عليه بعينه بالنار فهو أسلم وأحسن، وهو الذي عليه قول أكثر أهل السنة والجماعة بالنص، وهذا -كما قلت- هو الأولى والأحسن؛ لكن فيما يظهر لي -والله أعلم:

من حكم عليه بعينه لظاهر حاله بأنه في النار لم يأت بمنكر، وأما حقيقة حاله -كما قلنا- إن أسلم ونحن لم نعلم فلا يضره هذا القول، وإن لم يسلم فإنه في النار، ويصدق هذا القول فيه.

أما من لم يسمع بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ولم يؤمن به؛ لأنه ما سمع به أصلًا، ما سمع بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فلم يؤمن به، قلنا -يا إخوة-: إنه في الدنيا كافر بالإجماع، ويعامل معاملة الكافر.

أما في الآخرة فأمره إلى الله، وأظهر ما قيل فيه: أنه يمتحن، فإن أجاب دخل الجنة، وإن عصى دخل النار.

هذه هي المسألة، واعلموا -يا إخوة- أن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن الموحد لا يخلد في النار وإن دخلها، ومجمعون على أن بعض أهل الكبائر من الموحدين لا يدخلون النار، ومجمعون على أن بعض أهل الكبائر من الموحدين يدخلون النار، ثم يخرجون منها فورًا بشفاعة الشافعين -بإذن الله-.

إذًا أهل السنة والجماعة مجمعون على ان بعض أهل الكبائر من الموحدين لا يدخلون النار أصلًا، وأن بعض أهل الكبائر من الموحدين يدخلون النار، ثم يخرجون منها فورًا، وأهل السنة والجماعة مجمعون على أن بعض أهل الكبائر من الموحدين سيدخلون النار ولابد.

ومجمعون على أن من لقي الله كافرًا فهو في النار خالدٌ مخلدٌ فيها، ولا يقول مسلم يعلم كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وما قرره الأئمة أن الله قد يخلي النار أصلًا، فلا يدخلها أحد، هذا القول ما يقوله مسلم.

بعض المخابيل يقولون: إنه قد يدخل الناس جميعًا الجنة ولا يدخل النار أحد، وهذا خلاف القرآن، وخلاف السنة، وخلاف ما أجمع عليه أهل السنة؛ بل ما أجمع عليه العلماء قاطبة، وإنما قال هذا بعض العقلانيين الذين يتبعون الاحتمالات العقلية، فهذا الأمر من الأمور اليقينية.

قال -رحمه الله-: [وَمن لَقِي الله بذنب تجب لَهُ بِهِ النَّار تَائِبًا غير مصر عَلَيْهِ فَإِن الله يَتُوب عَلَيْهِ ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾**[الشورى:٢٥]].**

أي من كان كافرًا، ثم تاب من كفره، وأسلم قبل أن يموت فإن الله يقبل توبته، ولا يلقى الله كافرًا ولو عاش عمره على الكفر، ومن كان على الكبائر من أهل القبلة، ثم تاب منها قبل أن يموت فإن الله يفرح بتوبته، ويقبل توبته، ويعفو عنه، والتوبة تجب ما كان قبلها، «التَّائبُ من الذَّنبِ كمن لا ذنبَ له»، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ورواه ابن ماجه بإسناد صحيح، أي ذنب، «التَّائبُ من الذَّنبِ كمن لا ذنبَ له»، يقبل الله توبته ويعفو عنه، ويغفر له، ويبدل سيئاته حسنات.

ولذلك ذاك الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا مجرم، قتل تسعة وتسعين نفس، فسأل من لا يعلم، فقال: ما أرى لك توبة، انسد عليه الطريق، فقتله، أكمل به المائة، ذاهب إلى النار، ذاهب إلى النار، ثم سأل عالمًا، فقال: ومن يحجزك عن التوبة؟ فتاب، وأمره العالم أن يخرج من هذه الأرض التي أجرم فيها إلى أرض أخرى فيها قوم صالحون، فخرج، ففي الطريق مات، فجاء الملائكة، منهم من يقول: هو في النار، ومنهم من يقول: هو في الجنة، فكان الحكم أن يقيسوا ما بينه وبين الأرض التي كان أجرم فيها، وما بينه وبين الأرض التي كان يريدها تائبًا، فأدناه الله من الأرض التي كان ذاهبًا إليها تائبًا، فكان في الجنة، لا يأس من روح الله.

فالله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب، والله يدعوا الناس جميعًا إلى التوبة، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال -رحمه الله-: [وَمن لقِيه وَقد أقيم عَلَيْهِ حد ذَلِك فِي الدُّنْيَا فَهُو كَفَّارتُه، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَر عَن رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم، وَمَن لَقِيَه مُصِرًا غير تَائِبٍ مِن الذُّنُوب الَّتِي قد اسْتوْجبَ بهَا الْعقُوبَة فَأمره إِلَىٰ الله إِن شَاءَ عذبه وَإِن شَاءَ غفر لَه، ومَن لَقِيَهُ مِن كَافِرٍ عذَّبه، ولَم يَغْفِر لَه].

هذه تسمّى بالموافاة، من لقي الله وقد أقيم عليه حد ذنب كان قد أذنبه، أي ارتكب كبيرة؛ لأن كل ما يوجب حد، فهو من الكبائر، ارتكب كبيرة، فأقيم عليه الحد، فإن الحد جابر، فيكفر عنه بذلك، ومن لقي الله مصرًا على ذنبه، ما تاب منه، وكان موحدًا فإنه تحت المشيئة، إن شاء عذبه الله بعدله، وإن شاء الله غفر له بفضله، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «مَنْ أصابَ مِنْ ذلك شيئًا»، أي من القاذورات، قاذورات الذنوب، «فعوقِبَ في الدُّنيا فَهوَ كفَّارةٌ لَهُ ومن أصابَ من ذلِكَ شيئًا ثمَّ سترَهُ الله فَهوَ إلىٰ اللهِ إن شاءَ عفا عنهُ وإن شاءَ عاقبَهُ»، متفق عليه.

من ارتكب كبيرة من الموحدين إن أقيم عليه حدها سلِم من وزرها، وإن لم يقم عليه حدها ولم يتب منها فإن أمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وإن لم يُقم عليه حدها وتاب منها، ستره الله وتاب، فإنه يلقى الله بلا ذنب؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أما من لقي الله كافرًا، فليس له إلا النار، لا يغفر له ولا يعفو الله عنه؛ بل هو خالد مخلد في النار، قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]، هذا الكافر كفرًا ظاهرًا.

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١٤٦]، سنسرع قليلًا، وإذا بقي شيء بعد الصلاة مباشرة نكمله -إن شاء الله- في دقائق يسيرة.

قال -رحمه الله-: [وَالرَّجم حق علىٰ من زنا وَقد أحصن إِذا اعْترف أَو قَامَت عَلَيْهِ بَيِّنَة قد رجم رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم وقَد رجمت الأَئِمَة الرَّاشِدُون].

مما يجزم به ويعتقد، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة أن من زنا وهو محصن رجلًا كان أو امرأة، وثبت عليه الزنا، أما الرجل، فلا يثبت عليه الزنا إلا بالبينة بشهادة أربعة شهود أو الاعتراف، وأما المرأة فتزيد أمرًا ثالثًا، وهو الحمل إن لم يكن لها زوج، وقد سبق أن تزوجت.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن عمر -رضي الله عنه- ذكر على المنبر آية الرجم، وأن الرجم حق إذا ثبت الزنا، فكانت البينة أو الإقرار أو الحمل، وقد أجمع أهل السنة على هذا وأجمع عليه الفقهاء كما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله عَزَّ وجَلَّ.

قال ابن قدامة: أجمع عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ رجم ماعزًا -رضي الله عنه- ورجم غيره، وقصة ماعز -رضي الله عنه- في الصحيحين؛ لكن سبحان الله ما ثبت الزنا على أحد في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إلا اجتمع له المكفرات، فتاب توبة صادقة وأقيم عليه الحد.

وثبت أيضًا: أن الصحابة الأئمة؛ ثبت عن أبي بكر وعمر وعلي -رضي الله عنهم- أنهم رجموا الزاني المحصن، فهذا ثابت لا شك فِيْهِ، لعلنا نقف عند هذه النقطة، ونكمل بعد الصلاة -إن شاء الله-، ولن نطيل عليكم. كتب الله أجرنا جميعًا.

المجلس (٤)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رَبِّ العالَمِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلىٰ آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أما بَعْد: نواصل شرح ما سطره أهل السنة والجماعة في رسالة أصول السنة، فينفضل الابن نور الدين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

قال -رحمه الله تعالى-: [ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أو بغَّضه لحدث منه أو ذكر مساويه، كان مبتدعـًا حتىٰ يترحم عليهم جميعـًا، ويكون قلبه لهم سليمًا].

من أصول السنة التي أجمع عليها أهل السنة: سلامة قلوبهم لصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، واعتقاد فضلهم جميعًا-كما تقدم معنا-، وأن أقلهم فضلًا أفضل ممن بعده.

وأهل السنة والجماعة لا يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ بل يترحمون عليهم جميعًا، ويحبونهم جميعًا، ولا يذكرونهم جميعًا إلا بخير، ويبغضون من أبغضهم، ولو أبغض واحدًا من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فإنهم يبغضونه، ومن أبغض واحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وأبى أن يتربى عليه وأبى أن يترحم عليه فهو من أهل البدع، لا يخرج عن حد البدعة ولا عن ضلالها حتى يترحم على الصحابة أجمعين، ويذكرهم جميعًا بخير.

ولا شك أن حب الصحابة علامة الإيمان، وأن الواجب الكف عما شجر بينهم مع اعتقاد فضلهم، ولا شك أن الذين يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فهم يتنقصون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ لأن العقلاء يعلمون أن الرجل يعرف بأصحابه، فإذا تنقصوا صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فإن ذلك تنقص لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ والسابر لأحوال الذين يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يدرك أنهم يتنقصون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فعلًا وليس باللازم؛ ولذلك يغلون في غيره، ويرفعونهم فوقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، كما أنهم يريدون إسقاط ديننا؛ لأن الصحابة

حملة الدين، فإذا جرحوا شهودنا جرحوا ديننا، ولن يكون لهم ذلك فالصحابة -رضوان الله عليهم- عدالتهم ورضا الله عنهم ثابتة باقية ما بقي القرآن وما بقي الناس يتلون القرآن فلن يتحقق لهم ذلك.

الشاهد: أن المؤمن يقول بلسانه، ويصدق ذلك بحاله: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر:١٠]، ورأس المؤمنين هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

قال -رحمه الله-: [والنفاق هُوَ الْكفْر أَن يكفر بِاللَّه ويعبد غَيره وَيظْهر الْإِسْلَام فِي الْعَلَانِيَة مثل الْمُنَافِقين الَّذين كَانُوا على عهد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (ثَلَاث من كن فِيهِ فَهُوَ مُنَافِق) على التَّغْلِيظ نرويها كَمَا جَاءَت وَلَا نقيسها].

- **مما يجتمع عليه أهل السنة، ويعتقدونه، ويأمرون باعتقاده أن النفاق نوعان:**
  - اعتقادي.
  - وعملي.

- **والنفاق الاعتقادي:** أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فالظاهر إسلام والباطن كفر، وقد أجمع أهل السنة على أن المنافق من أشر الكفار، ليس كافرًا فقط؛ بل هو من أقبحهم وأشرهم؛ ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار -كما تقدم-.

- **وأما النفاق العملي:** فهو من كبائر الذنوب، ومن أقبح المعاصي، ويكفي في قبحه أن سمي نفاقًا على لسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فالذي يكذب إذا حدث، ويفجر إذا خاصم، ويخون الأمانة، ويخلف الوعد، إذا اجتمعت فيه هذه الصفات فهو منافق خالص، أي: من جهة النفاق العملي، وهذا على وجه التغليظ والتشديد والزجر الأكيد، ومن وجدت فيه خصلة ففيه خصلة من نفاق حتى يدعها، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، و من كانتْ فيه خَصلةٌ منهنَّ كانتْ فيه خَصلةٌ من النفاقِ حتى يدَعَها: إذا ائْتُمنَ خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»، متفق عليه.

إذًا انتبه: قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «كان منافقًا خالصًا»، لا يعني أنه كافر، وإنما يعني أنه قد اجتمعت فيه خصال النفاق العملي، وهذا -كما قلنا- على سبيل الوعيد والتشديد والزجر الأكيد.

قال -رحمه الله-: [وَقَوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ (لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا ضلالا يضْرب بَعْضكُم رِقَاب بعض) وَمثل (إِذا التقىٰ المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فِي النَّار) وَمثل (سباب الْمُسلم فسوق وقتاله كفر) وَمثل (من قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فقد بَاء بهَا أَحدهمَا) وَمثل (كفر بِالله تبرؤ من نسب وَإِن دق) وَنَحْو هَذِه الْأَحَادِيث مِمَّا قد صَحَّ وَحفظ فَإنَّا نسلم لَهُ وَإِن لم نعلم تَفْسِيرهَا وَلَا نتكلم فِيهَا وَلَا نجادل فِيهَا وَلَا نفسر هَذِه الْأَحَادِيث إِلَّا مثل مَا جَاءَت لَا نردها إِلَّا بِأَحَق منها].

هذا منهج أهل السنة والجماعة في نصوص الوعيد، وقد أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ هذا المنهج، فنصوص الوعيد نسمعها للناس كما هي، ولا نفسرها، لا نفسرها بالكفر، ولا نفسرها بأنها تحت المشيئة؛ بل نذكرها للناس كما هي؛ لأن المقصود منها زجر الناس عما فيها، فلو فسرناها بالكفر لخالفنا المراد منها شرعًا، وخالفنا عقيدة أهل السنة والجماعة، ولو فسرناها بأنها تحت المشيئة لربما هان الأمر علىٰ الناس، تحت المشيئة والله غفور رحيم والله عفو، فنذكرها كما هي بنصوصها، بألفاظها، ولا نفسرها إلا في حالتين:

الحالة الأولى: أن توجد نصوص أقوى منها، فنقدم النصوص الأقوى وهي تفسرها.

والحالة الثانية: أن توجد فتنة، كأن توجد فتنة التكفير، والتكفيريون يحتجون بهذه النصوص، فإن نفسرها بعقيدة أهل السنة والجماعة، وأن ما فيها تحت المشيئة؛ دفعًا لفتنة التكفير، وهذا كما يقول العلماء من باب ارتكاب أخف المفسدتين، لا شك أن تفسيرها بأنها تحت المشيئة وإشاعة ذلك بين الناس قد يذهب المقصود ومنها، وقد يجعل بعض العوام يجرؤ على ما فيه؛ لكن تركها يقود إلى التكفير وفتنة التكفير وهي أعظم مفسدة، ففي هذه الحال تفسر بأنها تحت المشيئة.

قال -رحمه الله-: [ومن الإيمان الاعتقاد بأن الْجنَّة وَالنَّار مخلوقتان كَمَا جَاءَ عَن رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم (دخلت الْجنَّة فَرَأَيْت قصرا وَرَأَيْت الْكَوْثَر واطلعت فِي الْجنَّة فَرَأَيْت أَكثر أَهلهَا كَذَا واطلعت فِي النَّار فَرَأَيْت كَذَا وَكَذَا فَمن زعم أَنَّهُمَا لم تخلقا فَهُوَ مكذب بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيث رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم وَلَا أَحْسبهُ يُؤمن بِالْجنَّةِ والنار].

من أصول السنة التي أجمع عليها أهل السنة، ويجب اعتقادها، أن الجنة مخلوقة، وأن للجنة أهلها، وأن النار مخلوقة، وأن للنار أهلها، فالنار حق وسيدخل أهل النار النار، والجنة حق وسيدخل أهل الجنة

الجنة، وهما مخلوقتان -كما ذكرنا- فإن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أخبر أنه قد دخل الجنة، فالذي يقول أن الجنة ليست مخلوقة هو مكذب للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، كيف يقول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنه دخل الجنة فرأىٰ كذا وسمع كذا، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أخبر أنه قد اطلع علىٰ النار ورأىٰ ما فيها، وأخبرنا ببعض ما فيها، فالذي يقول أن النار ليست مخلوقة مكذب للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، والغالب أن من لا يؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان في حقيقة أمره يكون غير مؤمن بالجنة والنار أصلًا؛ ولكنه يتستر بهذا، ولهذا قال الشيخ: [ولا أحسبه يُؤمن بالجنَّة والنار].

قال -رحمه الله-: [وَمن مَاتَ من أهل الْقبْلَة موحدا يُصَلِّي عَلَيْهِ ويستغفر لَهُ وَلَا يحجب عَنهُ الاسْتِغْفَار وَلَا تتْرك الصَّلَاة عَلَيْهِ لذنب أذنبه صَغِيرا كَانَ أَو كَبِيرا أمره إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ].

من مات من أهل القبلة موحدًا مصليًا، فإن أهل السنة والجماعة مجمعون على أنه يعامل معاملة المسلم فيغَسَّل، وتغسيله فرض كفاية، ويكفن، وتكفينه فرض كفاية، ويصلى عليه، والصلاة عليه فرض كفاية، ويستغفر له؛ لأنه يرجى أن يغفر الله له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولو كان معروفًا بذنب، فيستغفر له؛ لكن يقول العلماء:

من كان على ذنب عظيم، أو على بدعة غير مكفرة، فإن أهل العلم والفضل لا يصون عليه، ولا يستغفرون له ظاهرًا؛ زجرًا عن مثل حاله، فإذا قُدِّمَ للصلاة يتأخر العالم ما يصلي عليه، ويتأخر الفاضل ما يصلي عليه، وقد يقدم الإمام عاميًا ليصلي عليه، ولا يستغفر له في العلن؛ لكن يستغفر له في الخفاء، يستغفر له في السجود، يستغفر له في الخلوات، أعني: بالنسبة للعالم، أما عموم الناس فإنهم كما يصلون عليه يستغفرون له، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ومن لقي الله موحدًا وإن فعل من الذنوب ما قد فعل فإنه قد يغفر الله له، ونحن نحب للموحدين دخول الجنة وإن أخطأوا، وإن أذنبوا، نحب لهم دخول الجنة، ونستغفر لهم؛ لكن يمنع الاستغفار الظاهر من أهل العلم وأهل الفضل والصلاة عليه من أجل الزجر عن مثل فعله؛ حماية للدين، وحماية للسنة؛ حتى لا يتجرأ الناس على ذلك.

هذا آخر ما ذكره الإمام في هذه الرسالة العظيمة التي ينبغي ذكرها، ونشرها، وفهمها، وتعليمها.

وهذا الشرح -كما قدمت- هو الشرح الثاني مني لهذه الرسالة، وهذا الشرح أوسع من الشرح الأول، وأكثر تحقيقًا، وإن شاء الله سيكون الشرح الثالث واسعًا حيث نذكر الأصل وأدلته، ونذكر من خالف في

الأصل، وشبهه، ونرد عليها -إن شاء الله عزَّ وجل-، وسنقيم له دورة مستقلة -إن شاء الله- بعد عودة الطلاب في وقت مناسب -إن شاء الله عزَّ وجل- لنكمل الشرح، فيكون هناك شرح مختصر، وشرح متوسط الذي هو هذا، وشرح واسع -إن شاء الله عزَّ وجل- يكون في خلال الفصل الأول أو بعده مباشرة على ما نتفق عليه مع الطلاب -إن شاء الله عزَّ وجل-.

أشكر لكم حضوركم، وأشكر لكم صبركم، وأعتذر منكم على هذه الإطالة؛ لكني ما أردت أن أبخس الرسالة حقها، وأردت أن أشرحها شرحًا ينفع الأمة -بإذن الله-، فأسأل الله أن يكتب لي ولكم الأجر، وأن يغفر لي أن أطلت عليكم، وأن يعينني وإياكم على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وعلى نشر عقيدة أهل السنة، وتعليم السنة، وتعليم العلم النافع.

لعلنا نكتفي بما أوردنا، ونعتذر عن الأسئلة، فإنه لا وجه للأسئلة بعد هذه الإطالة، فأسأل الله أن يجعل في هذه المجالس خيرًا وبركة، واستغفر الله لي ولكم، والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.